AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT

تجليد صالح الدقر
تلفون ٢٢٩٧٧

321.8
A16dA

AMERICAN UNIVERSITY
LIBRARY
OF BEIRUT

الديموقراطية في مصر
بين الأنصار والخصوم

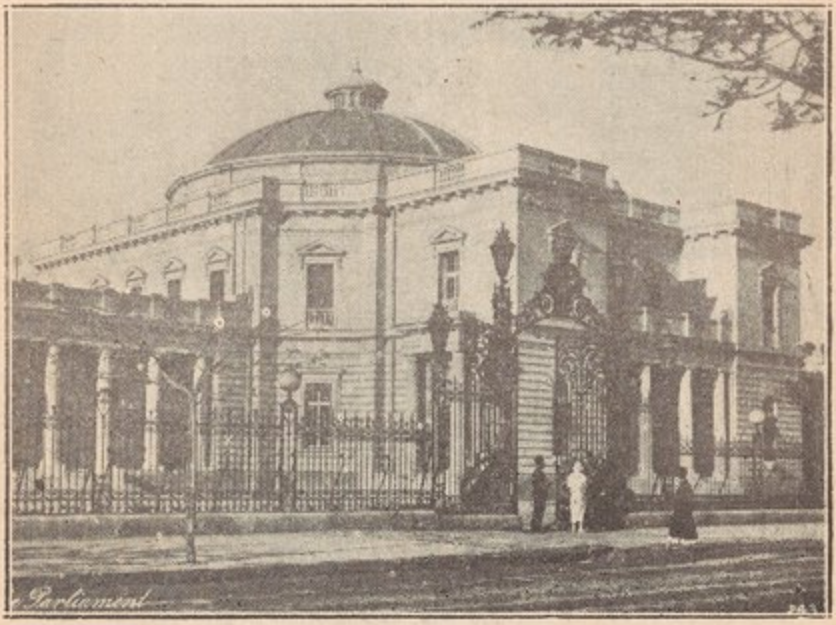

بقلم — امام شافعي أبو شنب

حضرة صاحب الجلالة فاروق الاول ملك مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أنبيائه أجمعين

وبعد : فليس القصد من هذا البحث تعريف الديموقراطية تعريفا يتناول شرح أنظمتها ، وتبيان أغراضها ، وتحديد نواحيها ، ففى هذا كتب أساطين العلوم السياسية وأساتذة علم الاجتماع المراجع الوافية ، والفصول الضافية .

وليس الغرض هو الكلام عن النكبات التى ألمت بالانسانية من جراء التناحر والتطاحن والصراع والمنازعات الشديدة القائمة بين أنصار الديموقراطيه وأصحاب المذهب الديكتاتورى ، فلست ذا أعصاب تمكننى من وصف جو كله إحن ومحن ، وأنين وتأوهات ، وآلام ومصائب ، وانى لأوثر أن أحطم قلمى ، وأسكب المداد ، وأمزق القرطاس ، على أن أكون شاهد عيان لهذه النكبات والويلات ، فاسجل هذه المآسى التى تستصرخ عدالة الله .

وإنما الغرض من نشر هذه الرسالة على الشعب المصرى المجيد هو :

أولا — وصف الجهود التى بذلتها مصر للظفر بجوهر الديموقراطية الكريم حتى أصبحت حصنا من حصونها بين العالم .

ثانيا — القاء ضوء بهذا البحث البرىء على الوجوه اظهارا للخبيث منها والطيب . وبخاصة فى هذا الظرف الذى يتملق البعض فيه الأمة خشية انخداعها ، مستمداً مادة البحث من التاريخ الحديث .

الاهـــداء

الى روح سعد العظيم زعيم الحركة الاستقلالية المصرية ممثلة فى أم المصريين صفيـة زغلول وخليفـة سعد مصطفى النحاس زعيم البلاد ورئيس هيئـة الوفد المصرى التى دافعت عن الديموقراطية فى مصر دفاعا لم تلق علمه ، أو تسلم فيه ، حتى وضعته عاليا فوق قمة البرلمان .

فالى أم المصريين صفية هانم زغلول .

وخليفة سعد الامين مصطفى النحاس .

وهيئة الوفد المصرى رمز الوحدة.

أهدى البحث في « الديمقراطية » التى هم رمزها فى وادى النيل وفقنا الله جميعا لخدمة بلادنا فى ظل ورعاية جلالة الملك الصالح « فاروق الأول » المحبوب أطال الله بقاءه وجعله ذخراً وحصنا للديمقراطية .

امام شافعى أبوشنب

الحرية

لابد انك رأيت مراراً عصافير فى أقفاص ؟

ألم تلاحظ عليها أنها تقفز بين القضبان قفزات الاسير ، وتنوح نواح الحزين ؟

ولا بد انك كثيراً ما رأيت طيورا تحلق باجنحتها فى الفضاء ، وتغرد فى فرح واغتباط ، وتقفز فى خفة ونشاط ؟ .

والطيور التى بين الاقفاص قد خلقها الله من طينة الطيور التى تحلق فى الفضاء ! !

فما سر انقباض الطير المعتقل ، ونشاط الطير الذى ينتقل من غصن الى غصن ومن فنن الى فنن ؟

وما السر فى أن الاصوات التى تنبعث من بين الاقفاص تحدث فى النفس الانقباض ، بينما الاخرى تنشرح لها الصدور ؟

ياللعجب ! أللطيور عقول تجعلها تفرق بين مرارة الاسر ولذة الانطلاق ؟

كلا ياصاحبى . فليست للطيور ولا للماشية والوحوش عقول تمكنها من التمييز بين حالتى الحبس والانطلاق وإنما سر الاكتئاب والفرح والخمول والنشاط ، والنواح ذى الصوت

الموحش والتغريد بأصوات حلوة النبرات ، السر فى هذا يرجع إلى سبب طبيعى ، هو أن هذه الحيوانات والطيور لما تنشقت أول نسيم الحياة ، لم تكن بين أقفاص مغلقة ، ومحابس محكمة الارتاج ، وإنما كانت إما على فروع الدوح وأغصان الاشجار ، أو بين الاحراش والقفار ، فلاعجب انها ميزت بين الارادة حينما تكون مقيدة ، وتلك التى لا سلطان لاحد على صاحبها ، تمييزا لو كانت تعبر عن أفكارها ، وتترجم عن خواطرها لرددت تلك الحكمة الغالية فقالت : « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا » .

* * *

الديموقراطية

الحرية حق من حقوق المخلوقات طراً ، لانها الاصل فى الحياة والتضييق عليها ضعف التجأ اليه الاقوياء الطغاة ، منذ اليوم الذى حملت الأرض فيه أقدام الظالمين .

وكما أن الماء هو الرحيق ، فالحرية هى الديموقراطية بدون اختلاف فى المعنى بين الكلمتين .

وهى كلمة تجرى بسهولة على الالسن ، كما يسرى الماء فى فم الظمآن فيرد اليه الحياة .

ولا يمقت الديموقراطية إلا الذين مازالوا ينظرون إلى غيرهم من بنى البشر بالعين التى كان ينظر بها أهل الأزمنة الغابرة، والعصور الدابرة، إلى من هم دونهم، أولئكم الذين يعتبرون أنفسهم طبقة العظماء، ويطلقون على غيرهم طبقة العامة والدهماء، وهو تعبير لكلمتى (أريستو قراط) أى طبقة العظماء، و (ديمو قراط) أى طبقة الشعب.

وهذا الامر أبطله وألغاه تطور المجتمع، وعمر على أنقاضه صرح المساواة فى الحقوق بين طبقات الأمة، لافرق بين حر وعبد، وعظيم وحقير.

ولم يأت عفوا هذا التطور الذى نزل بردا وسلاما على الانسانية لزوال الفروق بين أهل القطر الواحد، بل كان نتيجة حروب وثورات خرجت الديموقراطية منها مرفوعة الهامة، ومن فرط سرورها بالانتصار، صنعت أعلاما كثيرة وضعتها على الجبال، وفى السهول والنجوع فى الاقطار التى اكتسبتها، وحققت فيها مبادئها، فكان انتصارا، لا ينقص من تمامه، بعض ما يحدث فى قسم صغير من أقسام الكون من الصراع الذى لن تكون خاتمته — حتما — إلا تركيز السلطة فى يد السواد الاعظم من الشعب، ونزعها من يد طاغية تود أن تسوس الامور حسبما تهوى.

والذين يتصفحون كتب التواريخ التى حوت الكثير مما ألم بالانسانيـة من جراء التضييق على الحريات ، وجعل الأمة الواحدة طبقات عديدة ، لكل طبقة حقوقها التى لا تتعداها ، وكذلك الذين يتصفحون الكتب المقدسـة التى أنزلها الله ـ سبحانه وتعالى ـ على أنبيائه ، ليهدى بها الناس إلى الصراط المستقيم ، والطريق القويم ، الذين يفعلون هذا يسلمون على التو ، وبدون مناقشة : بانه لا فرق بين الجهاد فى سبيل نشر الاديان ، والجهاد لكسب جوهر الديموقراطية الذى لا تعادله فى الوجود قيمة ، فالمبادىء التى تقوم عليها الاديان ، وما الاغراض التى تنشدها ، إلا نفس مبادىء الديمقراطية وأغراضها .

والسر فى ان الديموقراطية تأسر القلوب أسرا ينسى الناس فى سبيل الانتصار لها حتى الحياة ، انها ذات تعاليم معقولة وعادلة .

وكفى الناس اقبالا عليها ، وتهافتا على تعاليمها ، انها فتحت باب الحياة على مصراعيه ليتساوى الناس أجمعون لا فرق بين كبيرهم وصغيرهم ، ولا غضاضة أن يسير ابن الخلاق جنبا

الى جنب ، مع ريب الجاه والنعمة على طريق واحد ، وكفاها أنها جعلت المناصب العاليه الخطيرة للاكفاء المخلصين ، يستوى فى التسابق للحصول عليها كل من تقله أرض الوطن ، وكان ذلك فى الازمنة الغابرة قاصرا على طبقة خاصة ، وكفاها أنها تقصى عن حظيرتها الذين يعجزون عن اكتساب ود مواطنيهم كما تنفى الهيئة الاجتماعية عنها المجرمين الذين ليسوا أهلا لنعمتها .

ويقول الذين درسوا روح المجتمع ، وحللوها تحليلا لم يتركوا فيه شاردة ولا واردة من حركاته وتطوراته إلا أحصوها ، أولئكم الذين يستخرجون الحقائق على صحتها ، يقولون : أنه من الخير للمجتمع أن يأتى على الناس حين من الدهر تساس فيه أمورهم بالعنف ، وتتعرض فيه شؤونهم للجور ، وسلامتهم للرعب ويرفع العدل من الارض ، وتستباح دماء الناس ، حتى إذا ما انتشرت الوزائل انتشارا يعم الارجاء ، حدث رد الفعل الذى يبدد الظلمات ،

« ان الحرية يخدمها أنصارها وأعداؤها على السواء »

سعد زغلول

وبجعل الامور تسير سيرتها الاولى الطبيعية .

ووجه الخير فى هذا ، أن الافراد لا تتذوق حلاوة العدالة الا اذا ذاقت مرارة الظلم ، ولا تحس بالسلام وتقدر قيمته الا اذا عاشت فى جو الفتن والقلاقل ، فالاشياء لا تتميز الا بأضدادها .

ومن تقدير الناس لهذه الامور تتولد فيهم روح الحرص والتمسك باهداب العدالة والسلام.

ولا غرابة فى هذا فما سارت العدالة الا فى اثر الظلم ، وما كان الاصلاح الا عقب الفساد ، ولا نقت المعادن وزالت عنها الاصداء الا بعد صهرها !.

وليس هذا هو كل الخير الذى يكتسبه المجتمع من مثل هذه الاوقات العصيبة ، وانما هناك ماهو خير منه . . . هناك العبرة والعظة ، فاذا ماعلم الناس أن الظالم مأخوذ بظلمه ، وان عليه لعنة من فى الارض والسموات ، تمسكوا بتلابيب الفضيلة ونأوا عن أسباب الرزيلة ، وتسابقوا فى ضرب المثل العليا فى كل مرافق الحياة .

الديموقراطية معشوقة من الناس طرا ، لان أساسها احترام رأى الجماعة ، وترجيحه على رأى الفرد ، لان الجماعة قل أن

تخطىء أما الفرد فكثير الخطأ ، ولأن اجماع الجماعة لا يكون الا بالتشاور ، والتشاور ينتج أصوب الآراء وأنضجها وأجداها نفعا.

وليس مذهب « ترجيح رأى الجماعة على رأى الفرد » قد استمدته الديموقراطية من انتاج العقول والقرائح ، وانما أخذته من الاديان التى حثت كلها على العمل به فى أمورنا الدنيويه ، ذلك المذهب الذى ورد بوضوح فى الدين الاسلامى الحنيف ، فرغبنا فى تكوين وخلق الجماعة ، وأمرنا بالاخذ برأيها مما يجد القارىء الكثير من هذا الترغيب فى القرآن الشريف والاحاديث النبوية والحكم التى جرت على ألسنة الصحابة والمجتهدين - رضى الله عنهم -

وقد قيل فى هذا « يد الله مع الجماعة » و « من استقل برأيه هلك » و « لاندم من استشار » و « الموت مع الجماعة رحمة » وما الى هذه الحكم التى تدلك على أن الاديان ماحثت على تكوين وخلق الجماعة ، وترجيح رأيها على رأى الفرد ، إلا للابتعاد بسفينة الانسانية عن صخرة المهالك التى تتعرض لها بفعل استقلال الفرد برأيه .

* * *

ان الديموقراطية أو الحياة الدستورية ، التى يرميها الاعداء بالافلاس ، وبانها قائمة على الجدل والنقاش ، والتقاليد المضيعة للوقت ، ان هذه الحياة التى لن تضيرها هذه المطاعن المزعومة ، هى الشورى التى اختارها الحق جل جلاله للحكم فى أمور الناس الدينية والدنيوية :

أجل ان الحياة الدستورية فى لغة السياسة ، هى الشورى التى جاء ذكرها فى القرآن الكريم أكثر من مرة فى مواضع مختلفة .

فاذا كان الله قد اختار لعباده من أنواع الحكم الاخذ بالشورى ، وإذا كان جلت قدرته قد أمر نبيه الكريم أن يشاور أمته فى الامر ، وان الامر شورى بين المسلمين ، فكيف يلجأ المستبدون الى أنواع أخرى من الحكم ليس فيها ضمانا للحرية ولا كفالة للعدالة ؟.

أهؤلاء أكثر تقديرا للامور ، ووزنا لها من الانبياء والرسل - صلوات الله عليهم أجمعين - الذين أمروا بالشورى وهم الذين لا ينطقون عن الهوى وانما بلسان القدرة الالهية الذى لا وصف له ؟؟؟

حقا ان حجج هؤلاء المستبدين فى محاولتهم الانتقاص من

قيمة الشورى حجج واهية القصد منها فقط تبرير تهمهم من التكالب والتهافت على الجاه الكاذب والمناصب المخضخضة !!

عظمة الشعوب الديمقراطية

تجد بعض شعوب الارض ، محكومة بطغاة يبرمون الامور ، ومستبدين يبتون فى المسائل دون أن يكون للسواد الاعظم فى نظرهم أية قيمة ، كأنه قطيع من الاغنام ، لذلك هم يتخطونه فيما يبرمون ويبتون !!

وتجد ، فى ناحية أخرى ، شعوبا لاتستطيع ، حتى ملوكهم ، التداخل فى أى من الامور بدون استشارة السواد الاعظم الممثل بواسطة نوابه فى مجالس الشورى القائمة .

ولكى تعرف أن الديمقراطية تعز أنصارها ، نقول لك أن الاقطار الاولى ، المحكومة حكما دكتاتوريا تتعثر دائما فى خطواتها ، ومبتلاة بالازمات المالية الآخذة بالخناق ، ومصابة بالتيارات الخفية التى تتفاعل تحت سطح مجتمعها تفاعلا يؤذن بالانقلابات ، وأما الشعوب التى تتمسك باهداب الديموقراطية وتعمل بمبادئها القويمة تجدها تخطو على سبل معبدة ، وطرق ممهدة ، وفى حالة من اليسر المادى ، والهدوء الاجتماعى ، تدفعها دائما إلى المضى بخطوات واسعة نحو المدنية

وهل من الناس من يجهل أن العظمة التى تقمصت بريطانيا فجعلتها « بريطانيا العظمى » لم تأتها الا من طريق حرص الشعب الانجليزى الناهض على حماية التقاليد الدستورية وسهره على سلامة النظم البرلمانيه ، حماية وسهرا لعبا دورا هاما فى تخلى « دوق وندسور » عن لقب « ملك انجلترا وامبراطور الهند والممتلكات الواقعة فيما وراء البحار » ومبايعة غيره طبقا لقانون وراثة العرش الذى يقدسه الشعب الانجليزى العظيم تقديس المسلم لكتابه الكريم ، والمسيحى لانجيله المقدس ، وكل ذى كتاب منزل لكتابه ، لانه عرش رضعت الديموقراطية من ثديه أفاويق الالبان الدسمة ؟

ولم يأخذ الشعب الانجليزى تاج بريطانيا العظمى من فوق رأس ادوارد الثامن ، ليضعه على رأس « جورج السادس » للمنع والحيلولة بين تلك الزيجه التى ليست لها سابقة من التقاليد الملكية الانجليزيه فقط ، وإنما لخروج الدوق وندسور ، وقت أن كان ملكا ، على التقاليد البرلمانية ، وتداخله المستمر بما لا يتفق مع التقاليد والقواعد والنظم الدستورية المعمول بها فى تلك الامبراطورية ، تلك التقاليد التى تعتبر السبب فى بقاء انجلترا

طول هذه القرون كالطود الشامخ يهزأ بمر الدهور وكر العصور، ويسخر بالعواصف التي تهب عليه لتزيل فقط ما علق به من أوساخ وتجلو مرآته للناظرين، لا لتفت من رسوخه وتنال من صموده.

ولبثت بريطانيا العظمى هي الامة الوحيدة التي اكسبتها الديموقراطية هذه المكانة المعدومة النظير بين شعوب الارض الحالية، فكم من شعوب كان لها من السلطان ما يزيد على سلطان انجلترا الآن، ولم يزل إلا حين اتبع الحكام شهوات النفوس، وظلموا الرعية، وتخلوا عن حكم الشورى، وحكموا بامرهم، فكان هذا سببا للضعف بعد القوة والذل بعد العز.

* * *

ولما كان الشيء يقوم بقيمته، فقد غدا مهر الديموقراطية من المهور الغالية، أغلى من تلك التي يبذلها الفرد للحصول على عروس جميل!!

ان الانسان كثيرا ما يقف عند حد محدود في دفع المهور، ولكنه يبذل بسخاء للحصول على الديموقراطية، ليس المال فقط، وإنما الحياة أيضا، بل يبذل فلذة الاكباد، التي هي أغلى مما في هذا الكون من متاع.

ألم تقرأ أن أحد القواد الاسبان لما اعتقل ولده، وطلبوا إلى هذا الولد، ان يخاطب أباه تلفونيا ويفهمه بانه رهينة تسليم

الحصن ، فان لم يسلمه فى ظرف أربعة وعشرين ساعة سيعدم الابن رميا بالرصاص ، فما كان من الوالد إلا أن رد على ابنه بقوله « وماذا عليك لو استشهدت » ؟

قليلون هم الذين يبذلون المال بسخاء للظفر بغادة هيفاء ، ولكن الذين استشهدوا للدفاع عن الديموقراطية كثيرون!

* * *

مصر والديموقراطية

ومن الاشياء التى يجدر بكل مصرى أن يفخر بها ، ان مصر لن تقل عن غيرها من أمم الارض فى تقديم القرابين للديموقراطية ، تدعيما لصروحها وتقوية لحصونها ، فلقد بذلت بأسراف مهجا عزيزة وأرواحاً غالية ، وضربت رقما يعتبر بالقياس لحداثة عهدها بالديموقراطية ، رقما تستطيع به أن تبز شعوبا لم يحز نير الاستعباد رقبتها .

وهاهى أيضا على استعداد للبذل والانفاق وشن الحروب على أعداء الديموقراطية إلى أن تصبح مكانتها فى هذه البلاد وطيدة الاركان ، شامخة البنيان ، راسخة القدم ، أكثر من رسوخ اهراماتها اللواتى تصمد لتقلبات الدهور ، وانما عمل القرون كما يصمد الجمل لقرن الوعل .

* * *

أجل ان مصر قامت ، فى سبيل نشر مبادىء الديموقراطية ، بجهود جعلتها ، بجدارة ، احدى معاقل الديموقراطية فى الكون ، وليس يحدثك عن هذا فى صدق ، غير استعراض الحوادث التى وقعت على أديم هذا الوادى فى العهد الاخير .

ففى سبيل الاستقلال والدستور ، وما الى ذلك من الكلمات المرادفة للديموقراطية ، فى هذا السبيل تنافس الكثيرون من المصريين ليكتبوا بدمائهم الغالية الذكية ، وثيقة الحرية ، تلك الدماء التى استكملت استقلالنا شكلا وموضوعا وحققت سلطة الامة .

حقا لقد تنافس الكثيرون من المصريين تحقيقا لمبدأ عام ، وفكرة جليلة ، وقصد نبيل ، هو : « الاستقلال التام » . فكنت ترى فى غضون الثورة الاستقلالية المباركة ، ان حماسة الشيوخ فى الاندفاع الى ساحات المجد أشد من حماسة الشباب ، وكانت الرؤوس تطيح عن الاجسام بدون أن يحدث هذا الموت أى هزة لدى أقارب المستشهدين وأصدقائهم ، اذ كان الجار وقد سمع بمصرع جاره . والصديق وقد نعى اليه صديقه ، والاخ ولم يوار جثة أخيه بعد ، بل الوالد وقد فجع فى فلذة كبده ، كان كل

أولئك لا نرهبهم الفجيعة فى أعزائهم ، بل كانت بمثابة التيار الذى ينشط القوى ، ويحرك الهمم ، ويشد العزائم ويدفعهم الى الساحة التى على أديمها انفصلت رؤوس أعزائهم عن الرقاب قبلا ، وكانوا على أديمها المخضب كامواج البحر فى الظهور على سطح الماء ، المتأخرة أشد عزما من المتقدمة .

وكان ضعيف الجسم يزأر كالليث فيأخذك العجب لهذه القوة الجبارة التى تقمصت فجأة ، ذلك الجسم الهزيل ، وكان الشيخ المتهدم تفارقه شيخوخته وتحل محلها فتوة لا تقل فى البأس والعزم عن فتوة الشباب وعزمه .

واذا بحثت عن المصدر الذى كان يستمد منه الشهداء القوة والجرأة على الاندفاع الى الموت ، ذلك القوة التى حطمت سلاسل الرق والعبودية ، وقضت على التفرقة بين طبقات الامة ، لعثرت عليه بسرعة ولا اتضح لك أن روح العصر الحاضر هو السر فى الانتصار الذى نالته مصر ، وفى اليقظة التى ستبطل الحيل على العابثين بحقوقها .

القائد

وقد قبض فى مصر على عنان الثورة ، فادار شؤونها بحزم ، شيخ وان كانت حكمة الشيوخ متغلبة عليه ، إلا أن ذلك

الشيخوخة كانت أقدر على الجرأة من نزق الشباب وطيش الفتوة .

سعد زغلول
قائد الثورة الاستقلالية المصرية
وزعيم الشرق

ولا عجب فى هذا فكم سجل التاريخ للشيوخ من آيات الوطنية ، ومن جلائل الاعمال والمآثر ، مالم يستطع الشباب تسجيله لانقصهم ، ولاغروفا الشيخوخة الاجعبة التجاريب ، وخاتمة مطاف الانسان فى هذه الحياة ، وما مثل صاحبها الاكمثل المتحول فى الكون لاستكشاف مافيه من العناصر التى يتألف منها الجوهرى النافع من التجاريب والاختبارات التى تجعل الشيخ كصحيفة سجل عليها الزمان ماينفع الانسان .

ولقد ثبت للكثيرين جدا من علماء النفس ، والبحاث فى تواريخ الامم ، أن حب الوطن فى قلوب الشيوخ أمكن وأشد مما

هو فى قلوب الشبان أو الكهول ؛ وان نسبة الشيوخ صادق الوطنية من مجموع الامة ، أكثر من نسبة من هم دونهم فى العمر ، وانه قد ظهر كثيرون من الخطباء الشيوخ من كان على شيخوخته وهرمه ، إذا هم لالقاء خطبة فلا يهمه إلا بلاده وخيرها .

أجل ان الاختبارات التى يجمعها الشيوخ الحافلة بالكثير من العظات والعبر ، والتقاليد والعجائب ، والامور المنبهات للعقول ، كل هذه الاشياء تجعل الشيخ الصادق الوطنية لا يبحث الا على المثل الاعلى ، كما أنها كالنيران التى تخلص سبك وطنية قومه ، وتمحص معدنها ، وتنزهها عن الشوائب ؛ كما تنزه الذهب الخام مما يعلق به من الاوساخ .

* * *

ولذلك الشيخ امم له فى قلوب قومه — إذا استثنينا الذين فى قلوبهم مرض — منزلة خفية لا يمكن للعين ان تراها.

أتستطيع ان تحدد منازل الحب أو البغض ، والغيرة أو الحسد ، والخوف أو البطولة ، فى جسم الانسان ولو استعنت باكبر المجهرات ؟ ؟

فكما أنك لا تستطيع أن تحدد مكان هذه الاشياء فى أجسامنا لانها من المنازل الروحية ، فانت كذلك لا تستطيع

ان تعين مكان الشيء الذى كان يجعل أبناء مصر ينادون صائحين « يحيا سعد » لان منزلته فى الاجسام كانت منزلة روحية .

هذا الضريح ، ذو الاسم السحرى هو « سعد زغلول » .

فما أحلى الاسم الذى كان وسيكون هدى ونورا للمصريين ، ومرجعاً يرجع اليه الزعماء الوفديين فى مصر ، وغيرهم فى سائر الاقطار ، إذا ما ادلهم الجو ، وتراكمت على أممهم الكروب وتزاحمت الخطوب .

سعد زغلول ؟

يالله من اسم عظيم يقف أمامه المؤرخ باهتمام شديد وهاك مكبراً قبل أن يكتب عنه حرفا ، ومما لاشك فيه ان أول كلمة سيكتبها المؤرخون فى سجل هذا الزعيم ستكون : العظمة . . والعظمة لله ولا تقدير لعظمته .

ومما لاشك فيه ان نسلنا وعقبنا الذين سيتداولون على رقعة الوادى بعدنا سيذكرون الزعيم بالخير كلما أحسوا بنعمة الحرية ، وسيترحمون خطاه ، كلما حزبهم الضيق ، وسيلعنون خصومه الذين كانوا يناوئونه ويطلقون فيه الالسن البذيئة .

حقا ان عظمة الرجل كأنت فريدة فى صفاتها ، فذة فى مادتها ، منقطعة النظير بالقياس إلى غيرها .

* * *

فى كثير من الاوقات ترى الفتور يدب بين الزوج وزوجه ، والاب وابنه ، والشقيق وشقيقه ؛ مع أن هؤلاء صلتهم ببعض صلة وثيقة .

ولكن السنوات التى أدار فيها سعد دولاب النهضة أثبتت أن صلته بملايين هذه الامة كالعروة الوثقى لاانفصام لها ، بصرف النظر عن أقاويل معارضيه فيه فبناء الاحكام ليس على شواذ الامور .

أجل لقد كان سعد فى الأمة المصرية ، كالرأس فى جسم الانسان ؛ فالاجماع على حبه كان تاما ، والتعلق بمبادئه شيء لاثانى له ، واطاعة أوامره لا خروج عليها ؛ الامر الذي جعل مصر تبز سائر الاقطار فى تقديسها للزعامة تقديسا طبيعيا غير صناعى .

وكان فى هذا الاتحاد الاجماعى غرابة ، موضوعها : ان السنوات التى سبقت الثورة لعبت فيها أصبع التفرقة فشقت الشعب إلى مسلم وقبطى ، ودامت هذه الحالة المحزنة مدة ،

نحمد الله على أنها لم تكن طويلة ، وعلى ان علاجها تولاه سعد، الذى كان له من المقدرة فى حل العقد مالا يستطيع غيره مجاراته فيها فما أسرع ما أصبحت مصر معسكراً واحدا يخفق عليه علما الاسلام والنصرانيه ؛ أو الصليب والهلال، فكنت ترى المساجد والكنائس ، فى إبان الثورة ، مفتحة الأبواب للداخلين، وظهر مبدأ « الدين لله والمصريه للجميع » وجاء من بين إخواننا الاقباط من قال « الوطنية ديننا والاستقلال حياتنا ».

فما أحلى تلك الذكريات ، وما ألذها ، وسقاك الله غيثا من الجنة أيتها السنين التى كانت فيها المعابد فى مصر أشبه بسوق عكاظ لدى العرب ، يؤمها الناس على تباين معتقداتهم ليعرضوا فيها ، لا ثمرات القرائح ومنتجات الافكار والعقول وإنما مشحذات الهمم ، الدافعات إلى الردى ، فكنت تسمع من فوق المنابر « اتركونا أحرارا فلقد صممنا على ألا نحيا أرقاء » و « فى ميدان المجد متسع للجميع » « ولقد مضى زمن الطفولة وولى وقت الفطامة » وما الى هذه من الدرر الناريه الوطنية التى كان سعد يهز بامنالها أوتار القلوب هزاً ، ويضرب بها على المشاعر ضربا ، تلك الدرر التى تخضبت الارض بفعلها ، وكتبنا بها كلمتى الحرية والمساواة على أديم مصر

اسم له فعل السحر ، وشخصية لها منا كل اكبار ، وكلمة مقدسة مكانها فى القلوب وبين الضلوع ، يذكرها المصرى بالترحم وبخشوع .

عظمة لم ترهبها الاساطيل ولم تخفها القوى العديدة التى تألبت عليها ، وتضافرت للنيل منها .

قال لخصومه الاقوياء وقد طلبوا اليه ألا يشتغل بقضية الحرية وإلا فالنفى عقابه له « ليس لغير الأمة على سلطانا وللقوة ان تفعل بنا ماتشاء أفرادا وجماعات . . » .

وقال أيضا : « هل أعلنت انجلترا الحرب على مصر أيها اللورد ؟ » قالها بتهكم لما دخل اللورد اللنبى دار رياسة مجلس الوزراء بخيله ورجله ليسلم سعدا الانذار الذى جاء عقب مصرع السير لى ستاك ، تلك الجريمة التى تبرأت منها مصر .

وقال أيضا « نحن وزراء فيجب أخذ آرائنا » وفى أثناء تفوهه بهذه العبارة ضرب بيده على المائدة التى اجتمع حولها مجلس النظار الذى كان منعقدا تحت رياسة حضرة صاحب السمو الخديوى السابق وبحضور مستر دانلوب الذى كان يود البت فى مسألة لم تحز رضاء سعد .

فمن غير سعد تبلغ به الجرأة فيفضل مالطه وسيشل . وماهى ، وجبل طارق على ألا يشتغل بقضية الحرية ! !

حقا لقد كتب سعد بجرأته صحيفة رجولته ، وبأمانته سجل زعامته ، وبجهوده استقلال أمته .

هذا هو سعد الذى قال فيه سفهاء العقيدة سفهاء الرأى قولا لم يتورعوا فيه عن اتهامه بما ليس فيه .

هذا هو سعد نصير حرية الرأى ، بل الحارس على الحريات جميعها فى مصر .

هذا هو نقى السيرة ، نقى السريرة ، الذى لم تنجب الديموقراطية ابنا مثله منذ اليوم الذى تنقل فيه الشعور الوطنى فى النفوس .

هذا هو سعد ! وهذا هو سجل حياته ، فما أشهى على نفس الكاتب أن يقلب هذه الصفحات النقية ليقف على الاصول القويمة ، والجزوع المكينة التى تتكون منها شجرة الزعامة .

الملك

وفى باكورة جهاد مصر ، وفى غضون الفترة التى كانت ترتفع فيها الاصوات بحياة الوطن وحرية الرأى ، بل فى الوقت الذى تيقظت فيه البلاد وتنبهت ، فطالبت بحقوقها ، فى ذلك الوقت

المبارك رزق المغفور له الملك الراحل بمولود سعيد ، سماه « الفاروق ».

ولقد تفاءل المصريون جميعا بهذه التسمية المباركة ، وابتهلوا الى المولى جل وعلا أن يكون للامير الصعيد ، أعمال سميه العظيم عمر بن الخطاب ـ رضوان الله عليه ـ الذى يعتبر بحق موجد الديموقراطية ومؤسسها فى الاقطار الواسعة التى فتحت فى عهده الذهبى.

وكأن أبواب السماء كانت مفتحة ، فقبل الله سبحانه وتعالى ، ابتهالاتنا ، وحقق سؤلنا ، فأخذ الفاروق ـ أدام الله سداد خطواته الاصلاحية ـ يكبر ويتنقل فى مراحل عمره الصعيد مع الديموقراطية فى مصر ، خطوة بخطوة ، فبينما كان جلالته فى المهد ، كانت الديموقراطية فى دور النشوء ، وحتى اذا ماباشر بنفسه أعمال الملك كانت الديموقراطية قد اكتمل نضوجها وتغلغلت فى نفوس أبناء النيل كما تتغلغل جذوع شجرة فى تربة خصبة طيبة فلا يمكن اقتلاعها.

والديموقراطية التى كانت أولى صفات عمر ـ رضى الله عنه ـ أصبحت من أجل صفات الفاروق ـ حفظه الله وأيد ملكه ، وقد يكون الكلام عن الديموقراطية بدون الاشارة الى

ماجبل عليه مليكنا المحبوب من تمسكه الشديد بها ، وذكر طرف من أخبارها ، فى عصرها الذهبى فى صدر الاسلام ، خصوصا وجلالته — حفظه الله — كثير الشغف بأصول الدين الحنيف القويم ، قد يكون الكلام عنها بدون أن نذكر صفات الفاروق ، ونلمح بمكانتها فى أيام العرب الذهبية ، غير مؤد الى مانرمى اليه من استخلاص العبرة والعظة ، وليس ماينفع الشعوب ، وينمى بها عن الخطوب والكروب ، الا أن تنتفع من غلطات السابقين بالحيدة عن تلك الغلطات ، وتتبع خطوات المتوفقين لتصل الى الكمال فى الحياة .

كانت العرب فى وقت مفاخرتها بالانساب والاحساب ، وانقسامها الى عظيم وحقير ، ومعايرة القبائل بعضها البعض ، كانت بضعة قبائل ضاربة فى الفيافى والقفار ، لا يحس بها العالم ولا يتكلم عنها التاريخ ، ذات سلطان محدود ، ونفوذ كاد يكون فى شبه الجزيرة فقط ، منقسمة على نفسها مغلوبة على أمرها ، تعبد الاصنام ، وتوئد الاجسام ، وظل هذا أمرها حتى جاء محمد بن عبدالله ، خاتم النبيين وامام المرسلين ، بنور الهداية والرسالة الاسلامية ، التى نصت تعاليمها ، ضمن ما نصت عليه ، من التعاليم الدينيه المقدسة ، على زوال التفرقة وآمرت

بالمعروف ، ونهت عن المنكر ، وعالجت الآفات التي تهدد الهيئة الاجتماعية الآن بكلمة واحدة « وفي أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » . وألزمت الحاكم بأن يشاور محكوميه ، وجعلت الكريم والمحسب والمنصب هو التقى ، والعالي هو المتواضع ، وما إلى هذه من التعاليم الديموقراطية التي رفعت العرب الى منزلة ومكانة في الناحيتين ، الاجتماعية والسياسية ، لم يتبوأها شعب من قبلهم . تلك التعاليم الديموقراطية ، التي تستشعر قيمتها من مراجعتك لسيرة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ والخلفاء الاربعة ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ ومن جاء بعدهم من الملوك الصالحين.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا فضل لعجمي على عربي الا بالتقوى » وقال أيضا : « أنا جدكل تقي ».

وقال عمر : « أنا أميرهم ما دمت في طاعة الله » رداً على أحد مندوبي ملوك الافرنج عما اذا كان هو عمر أمير المؤمنين ؟

وقال أيضا « إن رأيتم في اعوجاجاً فقوموه » فاجابه أحد الحاضرين « لو رأيناه فيك يا أمير المؤمنين لقومناه بسيوفنا ! »

وكان رضي الله عنه يتكلم في حقوق النساء قبل الرجال

فردت عليه أمرأة وصححت له كلامه فقال « اخطأ عمر وأصابت امرأة »

والتاريخ الاسلامى حافل بمثل هذه الامور التى تعتبر السبب الجوهرى الذى جعل من العرب أمة بلغت مكانة فى العلوم والمعارف لم تبلغها أمة من قبلهم لتمسكهم بالعدالة والشورى .

واليك نوعا من العدالة البريئة التى لا تعرف المحاباة والتحيز وإنما تعرف وجه الله فقط :

ضرب عبد الله بن عمرو بن العاص مصريا ، لما كان عمرا واليا على مصر من قبل عمر بن الخطاب وتغاضى عمرو عن سماع شكوى المعتدى عليه ، الامر الذى اضطر المصرى إلى الالتجاء إلى ساحة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فاهتم بالشكوى وأرسل فى طلب الوالى وابنه ، ولما مثلا بين يديه ، سأل عمر ولد عمرو ، وقال له : لم ضربت هذا ؟

فلم يحر جوابا . . . غير أن المصرى أجاب عنه قائلا :

كان يضربنى ياأمير المؤمنين ويقول : أنا ابن الاكرمين ، فأخذ أمير المؤمنين الدرة (١) من يد عبدالله بن عمرو ، وأعطاها للمصرى وقال له : اضرب ابن الاكرمين .

---

(١) الدرة : السوط الصغير .

والتفت عمر الى عمرو وقال له :

« متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا » ؟.

* * *

وتربى الفاروق — حفظه الله — تربية اسلامية متينة، وتثقف تثقيفا دينيا مكيناً ، وألم بكثير من العلوم العصرية والتاريخية الماماً واسعاً ، فلا عجب ان قلنا ان هذا العصر سيكون عصرا مطبوعاً بطابع العصور العربية التى ازدهرت فيها العلوم والمعارف ، وبزت الامبراطورية العربية فيه سائر الاقطار الاخرى فى كثير من الصناعات ، فاخذوها عنها ، كما آخذوا الكثير من العلوم الفلسفية وغيرها .

ولا نكون الامقررين للحقائق إذا قلنا : ان سبب الضعف والوهن وما الى هذا من لامراض التى تفتك بالاقطار الشرقية هو الحيدة عن الاخذ بالشورى

سقى — اللهم — الشورى فى هذا العهد شرابا رحيقا ، وجعلها رائد جلالته فى حكمه السعيد المديد، باذن الله ليكون هذا بردا وسلاماً على قلوب المصريين .

م — ٣ الديموقراطية

عنى علماء النفس فيما كتبوه فى بحوثهم القيمة النفيسة ، استقصاء للأسباب التى تكون عظمة الرجال ، وتبنى مجدهم ، ففسبوها الى عدة أمور ، أجلها ذكرا ان بذرة حب الوطن التى تكون مستقرة فى قلوب طاهرى الاعراق ، شرفاء النفوس ، كبار القلوب من الشبان ، لابد اذا وقاها الله شر جراثيم العدوى الاخلاقية التى تنتقل من احتكاك الافراد ببعضهم ، الاحتكاك الذى يتنقل بالمخالطة فى دور العلم ، والمنتديات الرياضية وغيرها ، واذا حصنت ضد سموم المدنية الكاذبة ، لابد أن تنمو وتترعرع حتى تصير شجرة وارفة الافنان ، ممتدة الظلال ، عند بلوغ أصحابها سن نضوج الرجولة أو الكهولة ، وتؤتى من الاكل والثمار ما يغذى نفوس الذرارى والاعقاب والقرون.

وخليفة سعد ، أو مصطفى النحاس ، تربى فى بيئة خالية من عناصر الاغراء ، ودوافع الاهواء ، وقنع فى سن الطفولة بحياة الريف التى لا تدعو الا لزيارة المساجد فى الاوقات الخمس ، واللعب البرىء فى فضاء القرية ، والسير فى الحقول طلبا للنزهة.

وكان أسلوب حياته فى المدن ، فى وقت العمل الدراسى أسلوبا بسيطا : يخرج من المدرسة إلى غرفة نومه فى الاحياء

حضرة صاحب المقام الرفيع
مصطفى النحاس باشا
رئيس لوفد المصرى

المتشابهة الحياة بالقرية ، لا يعرف غشيان المنتديات ، ولهو المدن ، والقاهرة فى منتصف الليل ، لأنه كان يقدر أن سبب انتقاله من القرية إلى المدينة ، هو تحصيل العلوم فقط ، وكذلك كانت حياته بعد أن تخرج من كلية الحقوق لاتختلف عن حياة الطفولة والشباب ، بل هى منذ الطفولة إلى الكهولة أشبه بالسلسلة المرتبطة الحلقات ، ولهذا فقد وقى الله وطنيته شر الماديات النفعيات ، لوجوده فى جو لا أثر فيه لهذه الخبائث .

وهذا هو سر انضمام اسمه إلى الاسماء الخالدة ، ليتحدث عنه أهل هذا العصر ، إذا ذكرت العفة والامانة ، أو إذادار حديثهم على الصلابة فى الحق ، والشدة فى القيام بامور الوكالة بدرجة يكون فيها أشد حرصا من موكله على حقوقه . وكذلك لتتحدث عنه الأجيال القادمة التى لم تزل نطفاً مستكنة فى بطون الأمهات أحاديث غير مغرضة .

بدأ العمل فى حياته بالدفاع فى القضايا الفردية ، وفى طلب العدالة للمظلومين ، ثم بالحكم بين الناس ، فتعلم صنعة الدفاع والبحث عن العدالة ، ورد الحقوق إلى ذويها .

ولما دق ناقوس الثورة ، للمطالبة بحق الأمة المغتصب وحرياتها المهضومة ، وقع صوت الناقوس فى أذنه كما تقع

تلاوة آيات القرآن فى آذان العباد فانجذب الى الحركة ، واختلط بصفوف المجاهدين ، وأخذ يصيح بحياة الوطن مع الصائحين ويكبر باسم الله ومصر مع المكبرين ، وكثيرا ما أم بالناس فى الجهاد فى حياة زعيم الجهاد ، فأحسن الامامة ، وأدى الامانة ، واكتوى بنار الاستبداد ضمن من اكتووا بنيرانها فما أحرقته بل شجعته ، وحفزت همته ، فجعلته نارا على منار .

وان آنت وضعته تحت البحث والتحليل ، لكى تسجل له حسناته ، وتدون عيوبه ، لتراكمت أمامك فضائل كثيرة . تود الواحدة منها أن يكون لها شرف السبقية فى التسجيل ، والاولوية فى الحصر والتدوين .

ان أخذت « الصدق » لتجعله فاتحة كتاب سجله ، عارضك « الاخلاص » محتجا ؟ وقال لك : أنا الاولى بأن أكون أول كلمة تكتب فى كتاب الرجل ، ولبدت لك « الامانة » ولأطلت برأسها « عفة اليد » ولأقسم عليك بالله « الجلد فى الجهاد » ولصرخت « العقيدة الشديدة على الايمان الثابت » فتقع فى حيرة ، لا تستطيع فيها أن تختار أية فضيلة لتجعلها أول كلمة تكتب فى صحيفة تاريخه ، تلك الفضائل التى تكفى واحدة منها منفردة أن تشيد عظمة الرجل ، فما بالك اذا

اجتمعت كلها واشتركت فى تكوينه ؟؟

حقا ان عظمة النحاس من النوع الذى يتقمص أجسام الرجال ، عن طريق تمثيلهم لفكرة حقة ، وعقيدة حازت عناصر ذيوعها ، ووسائل انتشارها ، وحقا لو كان مصطفى النحاس ، من الاصناف الذين يظهرون فوق سطح المجتمع ، وليسوا مزودون بالمناعة التى تلقحهم بها المبادىء والافكار ضد الاندثار لما بقى الآن على سطحه ، ولكان ظهوره عليه كالزبد .

أليس اذن بقاؤه حائزا لثقة إجماعية دليل على صلاحيته «فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ماينفع الناس فيمكث فى الارض »

أجل ان بقاءه على سطح المجتمع أنصع دليل وأسطع برهان على هذا .وان السر فى تغلبه على محاولى هدمه ،وفى خروجه سليما معافى من المؤامرات التى تدبرت للكيد له ،والنيل منه ، هو أنه لما كان يمرق بين صفوف أعدائه ، لم تكن سواعد جسمه هى التى كانت تفصح له الطريق ، وتلكم مريدى الشر به ، المتربصين له ، لكمات آذتهم وآلمتهم ،وانما كانت سواعد الجماعة ، ويد الله مع الجماعة .

أجل ان سواعد الملايين العديدة هى التى كانت تظهر له

الطريق من الاعداء ! بدليل ان الحرب ، التى ذكى نيرانها خصوم الامة ، فما حرقت إلا أجسامهم ، كانت تكفى للقضاء على آلاف الرجال ، لا للقضاء على مصطفى النحاس .

لم يكن الخصوم يحاربون النحاس ، وانما كانوا ، ولازالوا ، يحاربون «فكرة» والفكرة اذا كانت ذات قصد نبيل ، مؤسسة على غرض سام جليل ، غدت روحية وكتب لها الانتصار منذ اليوم الذى توقد فيه ، وتدخل فى رؤوس معتنقيها ، ولهذا فقد خرج الرجل من المعمعة ، وسيخرج منها فى كل الحروب ، كما يخرج الليث من منازلة حيوان ضعيف .

* * *

كيف يجوز التغلب على الافكار وقهر المبادىء ، الا اذا جاز شروق الشمس من المغرب وغروبها فى المشرق حتى نستطيع أن نبرر قيام الخصومة بين « الفكرة » وأضدادها ؟ ؟

ولكن ما الحيلة فى المكابرة التى كثيرا ماتودى بأصحابها الى الردى ، وتدفع بهم الى التهلكة ، وهى التى أبعدتهم عن رحمة الله ، وأنزلت على رأس أبى لهب اللعنة الابدية ، وأسكنته فى الدرك الاسفل من النار ، وأصلته سعيرا .

ألم تدفع المكابرة أبا جهل فى آخر لحظة من لحظات حياته

الى الكفر فقال لعبد الله بن مسعود وهو يلفظ النفس الاخير « بلغ محمداً أنى أول الكافرين به » . الامر الذى أضحك الرسول فقال « ان فرعونى أشد عداوة من فرعون موسى » ؟ . .

* * *

يقولون « فى معرض مكابراتهم » ان زعامة مصطفى النحاس « مرحلة طارئة من مراحل الزعامة . كان الحكم فيها لضرورات التشكيل والتنظيم ، لا لوحى الامة ، أو بديهة الروح القومى التى تهدى بغير تحضير أو تمهيد » بدون أن يؤيدوا أقوالهم ببرهان أو دليل ! !

ولست أود أن أدخل مع هؤلاء المكابرين فى نقاش ومساجلة لاعجز أعن التدليل واقامة البراهين ، فالادلة والبراهين حاضرة . وليس يجوز فى الاذهان شىء

اذا احتاج النهار الى دليل

انما غرضى هو أن أحيلهم الى ما كتب فى زعامة النحاس قبلا ، رداً على تخرصاتهم الحالية ، أحيلهم الى ماكتبوه ليصفعون أنفسهم بانفسهم . تنزيهاً لايدينا من هـذه الوجوه التى لاتعمل فيها صفع الاكف وضرب العصا ، أولئكم المراءون القدين حيثما ينفقون فلن يقبض الموت أرواحهم بيديه وانما كما قال المتنبى :

لايقبض الموت روحا من نفوسهم

الا وفى يده من نتنها عود

لانهم عبيد أرقاء وقديما قالوا فى بعضهم هذا القول الذى ننزه أنفسنا عن التفوه به .

وبعد أن نحيلهم الى ماكتبوه فى زعامة النحاس فى الاوقات التى كانوا يروا الاشياء فيها على حقيقتها ، بعد هذا نسأل القارىء .

ماهو خير محك للمعرفة ان كانت « زعامة النحاس بناء على وحى الامة والروح القومى » ؟

أليس خير محك هو أن الزعيم خرج من كل الحروب التى أعلنوها ضده مرفوع الهامة وخرج منها أعداؤه مهدورى الكرامة ؟

ثم أليس خير محك أيضا لمعرفة ان كانت « زعامة النحاس مرحلة طارئة من مراحل الزعامة ، كان الحكم فيها لضرورات التشكيل والتنظيم » هو أن الامة لم تفتر حرارة ثقتها به ، ولم تخب نيرانها وإنما هى ، كلما قدم العهد على زعامته كلما ازدادت ثقة به ، وحبا له ، وتعلقا بالمبادىء الكريمة التى يمثلها ، تلك المبادىء التى يدور حول محورها بقاء مصر وسيادتها ؟

ان خير محك يظهر معادن الزعامة على حقيقتها هو ثقة الامم

برجالها ، ولم يبد من الامة المصرية الكريمة إلا ثقة بزعامة النحاس تستمتى ثقة ، وحبا يتجدد فى كل مناسبة من المناسبات التى يجيء فيها الزعيم الحرص على حقوق البلد ، ومن ثقة الامم وحبها لأبنائها المخلصين تتكون أنقى الزعامات معدنا ، فما لا شك فيه ان الحب والعطف والحنو من عمل القلوب ، وكل زعامة تكون عناصرها الاشياء الروحية هى بنت الالهام ، لان اساسها رضاء الناس ، ورضاء الناس من رضاء الله وألسنة الخلق أقلام الحق .

فاين هى مواضع التجريح ونواحى الضعف فى عظمة الزعيم؟

ان كنتم تدعون أن لكم أبصارا تكشفون بها الخافى على الناس فقد كذبتم ، ويكفى لاظهار كذبكم ، بل خبثكم ، يكفى لاظهار هذا ، انكم بأنفسكم ، كتبتم فى شهر نوفمبر سنة ١٩٢٤ فى جريدة البلاغ ترجحون كفاءة النحاس على كفاءة زعيم الاحرار الدستوريين اذ ذاك ، رئيس محكمة النقض والابرام السابق . ؟

ارجعوا الى ماكتبتموه تحت عنوان « افلاس الاحرار الدستوريين » ، فى التاريخ المشار اليه ، لترو انكم مكابرون مأجورون .

* * *

ياقوم :

ان الليالى بالدس حبالى ، وسنلتقى يوما ما فى ميدان كسب الثقة ورضاء الشعب ، فاستعدوا للطمة الامة ، وهانحن نستعد للظفر بالنيابة ، وقديما قال فيكم المغفور له الزعيم الراحل « لكم الصباب ولنا مقاعد النواب »

أجل ان الليالى بالدس حبالى فان وضعت ، وجاءت الانتخابات ، عاجلا كان مجيئها أم آجلا ، فسيتولى المستقبل بالنيابة عنا ، الردعليكم !

* * *

الوفدية

قلنا ان سر بقاء مصطفى النحاس على سطح المجتمع ، يعزا بصبيانيات خصومه ، ومناوءات أدائه ، دون أن يتأثر بهذه الصبيانيات والمناوءات هو تمثيله لفكرة سامية جلية ، وهيهات أن تنطفىء نور الافكار والمبادىء ، وهيهات ان يكتب الاندثار للذين يمثلونها !

والفكرة التى يمثلها الزعيم ، والتى كتبت لاسمه الخلود هى « الوفدية » ، أى المبادىء التى آمن بها المصريون منذ

اندلاع ألسنة الثورة ، تلك الفكرة التى تعهدها زعيم الوفد السابق — سعد — وعمل الوفد على تحقيقها بعده، ولم يشذ عن اعتناقها ويتخلف عن تقديسها فى دورى الزعامة ، الا الذين عز عليهم ان يكون مصدر حظهم فى الحياة العامة ، والمناصب الرفيعة ، هو رضاء السواد الاعظم عنهم .

أجل ان سبب بقاء مصطفى على سطح المجتمع هو نفس سبب بقاء سعد عليه، وهذا السبب هو تمثيلهما للفكرة السامية النبيلة وهى استقلال مصر التام .

بقى الزعيمان فوق سطحه غير آبهين بالزلازل الصناعية ، بل كانا يضحكان منها ولا ينزعجان ، وكيف يتسرب الجزع اليهما والأمة بأسرها كانت تسندهما ؟

أما احتقر سعد الموت ، وأوصى الهيئة التى كانت تتشرف بزعامته ، والمصريين جميعا ، بان يصمدوا فى الدفاع عن القضية من بعده ، وأن يتمموا مابدأه كما جاء فى خطابه التاريخى الذى ألقاه في الاسكندرية عقب عودته من مفاوضات ماكدونالد

أما قال النحاس فى احدى خطبه لخصوم الأمة « ان كنتم فى حاجة الى اعناقنا ، فانا نبيح لكم ان تشبعوا نفوسكم من لحومنا ، وان تبردوا غليلكم من دمائنا ، ان كان ذلك سيكون ثمنا لاستقلالنا ؟ » وقال :

«سياستى هى سياسة الأمة ،ومبادئى هى مبادىء الشعب»

فما معنى تخوفهما من الزلازل المصطنعة والزوابع المفتعلة ، وما كان الغرض منها سوى ابعاد هما عن شؤون الحركة،وأمور النهضة حتى لا تنتشر مبادىء الديموقراطية فيكون حظ مثيريها فى الحياة معلقا فى خيوط رضاء السواد الاعظم .

ماخاف سعد ، وما ارتعد خليفته ، لانهما كانا يعلمان يقينا ، ان الامم لن تتخلى عن خدامها ، وانها ستتلقى السهام المصوبة اليهم لتردها الى صدور مصوبيها ، فللامة قضية تحميها ، وحقوق تدافع عنها ، وتذب عن حياضها .

* * *

عز على خصوم الديموقراطية ، ألا يكون لهم ، بعد يقظة الأمة من الامر شىء ، فعملوا على مناوأة من كان سببا فى يقظتها حتى لاتندك تقاليد العصر الغابر دكا،وهى التى يستمدون منها الجاه والمنصب ! !

فماذا يفعلون ليستبقوا مراكزهم ، ولتكون المناصب فى مصر وقفا على من يجرى فى عروقهم ، بالتوارث ، دم الاريستوقراطية ؟

لا طريق لهم لارجاع دورة الفلك الدائر غير القضاء على الروح «الوفدية» فكان مثلهم فى هـذه المحاولة الفاشلة مثـل الذى يحاول ان يمسك يد الزمن ليمنعها عن تمزيق ورقة الامس الدابر ، وفى هذا مافيه من تمرد على سنن العمران والنواميس النافذة التى قضت بتداول الايام بين الناس ، « وتلك الايام نداولها بين الناس »

أعلنوا الحرب على سعد ، ورموه بما لم يرمه به الانجليز ، فكم قالوا فيه ماقالوا من اللغو والهراء ، وكم صوروا غيرته البريئة ، فى جهاده الذى أراد بها وجه الوطن وتثبيت القواعد الدستورية ، تصويرا معكوسـا ، وكم أتهموه بانه يسعى الى تنصيب نفسه حاكما بأمره فى مصر ، وكم وكم ، مما يستطيع الانسان الرجوع اليه بسهولة ، ان اراد حصر امثال هذه التهم المزعومة التى تكذبها الآن رقدة المغفور له فى رياض قبره وليس فى كفنه الطاهر حقوقا دستورية استبقاها لنفسه ، اللهم إلا كتاب عمله الشريف البرىء « وكل انسان ألزمناه طائره فى عنقه ، ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا ، اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا »

وها أنت تراهم اليوم بعد انتقال سعد من الدار الاولى الى

المكانة التى أعدت للصالحين ، يديرون « الاسطوانة » ذاتها ؛ تلك التى ستدار دائما كلما زين لهم الشيطان القضاء على الفكرة ، لان هذه الشرذمة التى هانت بينها الوطنية هذا الهوان لن تفىء الى الحق وترجع الى الصواب ، مادامت سنة الله فى خلقه أن يكون بين الناس تفاوت فى الطباع والاخلاق « ولن تجد لسنة الله تبديلا »

الوفدية

كلمة بسيطة فى نطقها ، سهلة فى تركيب حروفها ، ولكنها عظيمة فى معانيها كبيرة فى قوتها كثيرة فى أعوانها ، وكفاها عظمة وكبرا وكثرة ومجداً ، أنها فكرة رسخت فى النفوس ، وجاشت بها الصدور ، ونازلتها مصادر عديدة نزالا كان النصر فيه حليفها !

الوفدية : شعلة لا تنطفىء فى الصدور طالما كانت القلوب عامرة بالايمان الوطنى .

الوفدية : هى الضمان الوحيد لبقاء الحكم فى مصر طبقا للتقاليد البرلمانية والقواعد الدستورية .

الوفدية : هى الديموقراطية المعتدلة هى مبادىء السلام الداخلى التى يطمئن اليها الافراد والجماعات ، ولا يخشى كائن من كان ،

فى جوها على حقوقه ، فالحرية فى ظلالها مكفولة .

الوفدية : تدعو الشعب الى العمل ، واحراز قصب السبق فى كل مرافق الحياة ونواحيها ، ويصبح فى جوها طائر العدالة فى الفضاء بدون ان يكون عليه حسيب ورقيب .

أرأيت قاض صار نقله لانه لم ينطق الا بالعدل ؟

الوفدية : تأتى الى الحكم من طريقه الطبيعى أى طريق الامة .

أرأيت الوفد تربع فى دست الاحكام وتقلد مناصب الدولة عن طريق تعطيل أبى القانون — الدستور — أو مسخ قانون الانتخابات وحصل على أغلبية كاذبة مزيفه عن طريق الغش؟؟ .

الوفدية : تستنكر أمثال حوادث التعذيب التى وقعت فى عهود الاستبداد فى مصر . تلك الحوادث التى لو وضعت فى كفة لرجحت المظالم التى عرفتها الانسانية فى عشرة قرون؟؟

وهل يقوم العمران إلا على أساس العدالة البريئة والهدوء التام ؟

الوفدية : تدعو الى النظام ، وتمقت الفوضى والفتن

أرأيت فى أيامها فوضى كالفوضى التى سجلتها احكام محكمة الجنايات ، من أمثال المخازى والمآسى والفتن التى وقعت فى

عهود الطغيان ، تلك الفوضى التى تدلك على بشاعتها حادثة الجندى الذى انتهز فرصة الانتخابات الزائفة وأطلق عياراً ناريا على خصم له وهو واقف فى الصلاة بين يدى الله ، بحجة ان القتيل لم ينفذ الاوامر ! ويتوجه الى مقر اللجنة الانتخابية ! وهى جناية من الجنايات العديدة التى وقفت العدالة أمامها مكتوفة الايدى مكممة الافواه لا تستطيع أن تأخذ المجرم بجرمه إلا بعد زوال عهود الطغيان ؟ .

لم يجر أيامها انتهاك لحرمة المنازل ، ولا ارتكبت فى عهودها جرائم خلقية ضد الطبيعة ، ولا قصت شعور الناس بمقص الدواب ، وجرهم الجند على الاوحال والاقذار جراً يستنزل اللعنة على الذين هانت الانسانية بينهم هذا الهوان !

لم نر فى عهود الوزارات الوفدية الا اطلاق الحرية للجميع ، والعمل بمبدأ مسئولية الموظف الصغير أمام رئيسه ، وهذا الرئيس امام الوزير التابع له ، والوزير امام البرلمان ، هذا المبدأ الذى يرجع بالامور ، صغيرها وكبيرها ، للامة مصدر السلطات ! ذلك المبدأ الذى تتكون منه العناصر التى تشجع الشعب على المضى فى طريق العمل المنتج ، اذ مما لاشك فيه ،

ان العائق الوحيد الذي يمسك بتلابيب الشعوب ويعرقل خطواتها عن السير فوق دروب الاصلاح الداخلي والخارجي هو الافتقار الى الطمأنينة ، فما وسائل الاصلاح وعناصر الاجادة والاتقان الا الهدوء والاستقرار .

* * *

يقول الذين لفظتهم الامة ، كما يلفظ الانسان من فيه فاسد الطعام ، أولئك الذين كان لهم فى « الوفدية » رأى سفهوا به آراء أصدقائهم الخاليين ، تسفيها لا يستطيعون الآن محوه من كتب التاريخ ويسفهون به رأيهم الآن ، يقولون :

« لا وفدية اليوم ، وانه اذا فشل الوفد فماذا فى فشله من الهزيمة للقضية الوطنية ، أو من الهزيمة لمصر والمصريين »

فهل تحسب انك إذا نقلت قصائد مديحهم فى « الوفدية » واطرائهم لها ، وتصويرهم إياها « بانها فكرة وطنية حقة وعقيدة دستورية سليمة ، وان محاولة القضاء عليها محاولة فاشلة » وما الى هذا الاطراء والمدح الحافلة بهما أكثر الصحف التى حرروا فيها فى العهود القريبة ، أتحسب انهم سيوارون وجوههم بأكفهم خجلا ؟ .

إن هؤلاء الذين يقولون اليوم « انه لا يضير الامة فشل

ولن يضرها ان تفصل الهيئة اعضاء منها ، اذا المدار على الامة ، فى الحكم على من هم اجدر بتمثيل الفكرة من غيرهم لانها تستطيع الحكم على الاشياء بدقة اتم مما يستطيعه هؤلاء الذين يحكمون عليها بعين الاغراض والاهواء ، اذ المسائل مسائلها والامور أمورها ، لا مسائل وأمور المتذمرين ! !

ثم أليس بقاء هيئة الوفد المصرى الحالية بعد ان فصلت من فصلتهم من الاعضاء ، وبعد ان انفصل البعض عنها بطوعه واختياره ، حائزة لثقة الامة ، دليلا على صلاحية هذه الهيئة دون غيرها ؟

هذه أولى حججهم ، بل ابرز براهينهم ، على « فشل الوفدية » فهل يدل هذا على ماذهبوا اليه من اتهام الوفديه بالافلاس ، أو هو صريح فى اظهارهم بمظهر المتخبط فى الرأى ؟

أجل ان القوم ، اذ يأخذون هذا الامر على « الوفدية » قد برهنوا على انهم يتخبطون « كما يتخبطهم الشيطان من المس » وانهم يفتئتون ، حتى على احكام الدهر ، ويحاولون هدم سليقة العمران التى جعلت البقاء للاصلح ، وعلى حكم الشرع الذى جوز التضحية بالبعض لسلامة الكل ! ! .

* * *

براهين قوية ، وحجج سليمة تدل على ان « الوفدية » مبادىء تدعو الى الخير العام !.

والمعايب « المزعومة » التى يأخذونها على افلاس « الوفدية » أولاها أن هيئة الوفد المصرى تميل الآن ، فى امورها الحزبية الداخلية ميلا ديكتاتوريا ، وتسرف فى فصل الاعضاء عنها اسرافاً ضارا .

ولست اريد الدخول فى مناقشات ومساجلات فى هذا الصدد ، الا فيما له اتصال بموضوع هذا البحث ، ولذلك فانى اكتفى باحالتهم ليقرأون ماكتبوه بتوقيعهم وقت التمهيد لتأليف الوزارة القومية ليروا انهم كانوا من المحبذين الداعين الى فصل حضرات الاعضاء السبعة وان هذا الدليل الذى يعوقونه اليوم لاقامة الحجة على « افلاس الوفدية » دليل على انهم يحاولون به ، استغفال الشعب النابه الفطن !.

ماذا يضير الوفد لو فصل عنه أعضاء ، أو لو انفصل بعضهم عنه مادام الميدان متسع للجميع ، وللوفديين المفصولين الحق فى الاحتكام للامة ، فان كتب لهم البقاء فسيكون بقاؤهم دليلا على صلاحيتهم ، فما البقاء الا للاصلح ؟

لن يضير « الوفدية » ان ينفصل اعضاء عن الهيئة التى تمثلها

أجل ليست « الوفدية » ذات تعاليم تبرر تقييد حرية الرأى والتضييق عليها ، وانما هى فقط ، تحرص على أن يكون النقد بريئا ، وأن يقوم الجدل والنقاش ، لا على قاعدة تعكير الجو واثارة الفتن ، وانما على قاعدة التعاون ، تحصيلا للخير العام ، فكما أن الديموقراطية قد حنت على افساح المجال للنقد ، فانها قد ألزمت ، بل وضعت فى عنق الهيئة التنفيذية أمانة هى : حماية المجتمع من الآفات الضارة الخبيثة التى يقترفها ذوو الاقلام المستهترة التى لا تتورع عن التشهير بالناس تشهيرا يؤدى الى الفتنة .

ولاجل التوفيق بين إباحة النقد ، وبين حماية المجتمع من الشرور ، وحتى لايسىء الجهال استعمال حرياتهم فى القول والنشر فيؤذون غيرهم ، للتوفيق بين هذا وذاك ، تلجأ كل الحكومات العريقة فى الديموقراطية الى التشريع وسن القوانين التى تكفل ، على أتم وجه ، قيام النقد على قاعدة لاتضر بالمجتمع من الاضرار الجسيمة ، لان القاعدة :

« اذا اعتبرنا الضغط على الحرية والحد منها ، سيئات لاتغتفر ، فمن الكبائر أن تطلق الحرية اطلاقا على نحو لاضمان للغير فيه على حقوقهم »

وثانى الادلة «البارزة ! »التى يأخذونها دليلا على «افلاس الوفدية» هو ان النحاس باشا لا يتسع صدره لحرية الرأى ، وأنه لذلك قد سعى الى تقييدها ، والحد منها ، وما الى هذه من سواقط الكلم ومبتذل العبارات

حقا أن الانسان ليتعب ، ويلقى العنت مع المستبدين بآرائهم أولئكم الذين لا يملكون من الحجج الا التهويش الذى يفسد عليك منطقك ! !.

لا ضغط على الحرية فى هذا العصر ؛ بل وفى كل الازمنة التى يرفرف على الوادى فيها العلم عنى البرلمان ، فلكل مصرى الحق فى التعبير عن رأيه بكافة انواع التعبير ، سواء بالنشر فى الصحف ، أو القول من فوق المنابر والتصوير بكافة أنواعه ، وما الى هذه الحقوق التى نص عليها دستور البلاد ، والتى لم تقف الهيئة الحاكمة ، يوما ما ، للحيلولة بين أفراد الشعب وهذه الحقوق ، لان الوفدية ليست ذات تعاليم رجعية تدفعها الى التذمر من الرأى فهى القوامة على الحريات جميعها والحارسة عليها ، وتعلم ان النقد كالمصباح الدرى الذى يكشف مواطن الضعف فى القضايا القومية ، ويظهر نواحى الخلل فى المسائل العامة .

البريطانيـة والفرنسية والامريكية من قديم الزمن!

ان مصر لم تجتهد فى الفقه الدستورى ، ولم تسن سننا حديثة ، وإنما ترسمت خطوات أمم يعتبر عامروهامن أحرص الناس على روح الديموقراطية ، واكثرهم محافظة على جوهر الدستور فى بلادهم

اكان الشعب الانجليزى والفرنسى والامـيريكى يسلم لحكوماته بمثل هذا التشريع ، لوان الديموقراطية أو الروح الدستوريه قد مسها ذلك التشريع الذى اعتنته الحكومات المذكورة منذ عشرات السنين بدون ان تزلزل الارض زلزالها ، وتندلع ألسنة الثورات ونيرانها ، تلك الثورات التى توقد فتيلتها هناك ، وتتفجر قذيفتها لاقل الاسباب ؟؟؟

كلا وربك فلوكان على مثل هذا التشريع المعمول به فى اكثر الامم الديموقراطية غبار الاستبداد لقامت الثورات ، ولزال من الوجود الكثير من الحكومات ؟

* * *

لايضير « الوفدية » ، ولايفسد الديموقراطية ان تلجأ حكومة الوفد الى سن مثل هذه القوانين!

ولايضر مصرى يجرى فى عروقه دم الوطنيه ، ويؤمن

أجل هذه هى القاعدة ، التى اصطلح عليها مؤسسو الديموقراطيات ، حتى المتطرفين منهم فى العالم كله . فلا ضرر ولا غيره من التجاء الحكومات لاستحداث تشريع وسن قوانين لتنظيم الحريات وجعلها على قاعدة تضمن لكل ذى حق حقه مادام التشريع والتقنين هو صنيعة يد شيوخ الامة ونوابها ؟؟

الامر للامة ، وكل أمر يصدر منها أنما يصدر من صاحب مصلحة ، عليم بما ينفعه ويضره ، فما وجه الاستبداد والجنوح الى الديكتاتورية فى هذا الامر المشروع الذى سببه مقتضيات الاحوال والمحافظة على الحياة الدستورية المهددة بالدسائس والتدبيرات الرجعية الخفية ؟

* * *

حقا ان الادعاء بان « الوفدية » أفلست فى مصر ، وان الامر انتهى بالذين يمثلونها الى الاستبداد فى الحكم ؛ والقول كذلك بأنه لاضرر على الوطنية من افلاسها ، والتدليل على هذا وذاك بالتجاء الحكومة الى سن قوانين لتقييد الحرية هو ادعاء سداه الكذب ولحمته التضليل ، إذ لو كان ما ادعوه قولا صادرا ممن يزنون الاقوال لتلاشت الديموقراطيات والوطنيات

البريطانيـة والفرنسية والامريكية من قديم الزمن!

ان مصر لم تجتهد فى الفقه الدستورى ، ولم تسن سننا حديثة ، وإنما ترسمت خطوات امم يعتبر عامروهامن أحرص الناس على روح الديموقراطية ، واكثرهم محافظة على جوهر الدستور فى بلادهم

اكان الشعب الانجليزى والفرنسى والامـيريكى يسلم لحكوماته بمثل هذا التشريع ، لوان الديموقراطية أو الروح الدستوريه قد مسها ذلك التشريع الذى اعتنته الحكومات المذكورة منذ عشرات السنين بدون ان تزلزل الارض زلزالها ، وتنـدلع ألسنة الثورات ونيرانها ، تلك الثورات التى توقد فتيلتها هناك ، وتتفجر قذيفتها لاقل الاسباب ؟؟؟

كلا وربك فلوكان على مثل هذا التشريع المعمول به فى اكثر الامم الديموقراطية غبار الاستبداد لقامت الثورات ، ولزال من الوجود الكثير من الحكومات ؟

* * *

لايضير « الوفدية » ، ولايفسد الديموقراطية ان تلجأ حكومة الوفد الى سن مثل هذه القوانين!

ولايضر مصرى يجرى فى عروقه دم الوطنيه ، ويؤمن

بالديموقراطية أن يستعمل حريانه على شكل لا يتعارض مع حقوق غيره من بنى جنسه . أما الذين يصدرون فى أعمالهم عن فكرة خبيثة ، ودوافع لها خبيء ، فيكفى هؤلاء تلك الصفعة التى نزلت على وجوههم من يد القضاء العادل الذى يرى وجوب حماية حقوق الغير عند استعمال الأفراد حرياتهم فقد جاء فى حكم صدر اخيرا فى هذه الظروف مايأتى : —

«ان الحرية الشخصية نص عليها الدستور الذى يكفل لكل فرد من افراد الامة ان يتمتع فى حدود القانون بحرية كاملة شرطا ألا تتجاوز هذه الحرية حدودها ، والاينشأ عنها اذى للغير لا نه فى هذه الحالة تقع الجريمة ويحق العقاب » اه

ارأيت كيف هدم القضاء العادل نظرية ادعائهم بافلاس الوفدية ؟

ثم أرأيت كيف يهربون من اقامة النقد على قاعدة بريئة تحفظ الهيئة الاجتماعية من الشرور والآثام ، وأن مايرغبونه هو جعل الحرية أداة لانتاج الفوضى ، واثارة الشغب ، والعبث بالنظام ، واطلاق الالسن البذيئة فى الاعراض الطاهرة ، واستعداء طوائف الامة بعضها على البعض ، وبالاختصار فانهم يريدونها على النحو الذى لا تستطيع فيه الوطنية أداء

رسالتها الحقة ، لغرض فى نفوسهم هو : ملء ألجو بالصياح والنباح ليقولون كذبا :

« أن النظام غير مستقر ، والفوضى منتشرة ، فيامن بيدكم الامر ، أنقذوا الشعب من نواب الشعب ! واطردوا هؤلاء الوفديين من مكاتبهم ، وادخلونا نحن الى هذه المكاتب فانا أعرف الناس بالحكم وأقدرهم عليه ، وأكثرهم به خبرة » ؟ .

هـذا هو سبب تذمرهم من التشريع الدستورى ، ومن تأففهم وتضجرهم منه ؟ .

الصـيد كل الصـيد ، بل جوف الفراء ، هو الوصول الى مقاعد الحكم ، تلك المقاعد التى يعتبر طريقها الوحيد الآن ، بعد أن حصلت مصر على استقلالها ، هو رضاء الامة ، وهم لايحسنون كسب رضائها الذى لايعطى قسرا ، وانما يمنح منحاً ولذلك هم يفبحون كثيراً ظنا منهم أن النباح مجلب للمناصب ؟

* * *

لنتركهم فى عوائهم ونباحهم ، فلن يستطيعون عقل الامة بعد اليوم ، لان عيونها قد تفتحت ، وصممت على أن تحيا حياة دستورية لاشائبة عليها .

أجـل لقد صممت مصر على أن تحيا حياة دستورية فلن

تخضع بعد اليوم للديكتاتوريات التى تعرقل سيرها نحو المدنية والعمران ، فان استطاعوا احراج وزارة الوفد اليوم ، وأتتهم ظروف ساعدت على تمثيل المأساة البرلمانية فلن يضر هذا الامر الامة بشيء فلقد تعودت مصر على الجهاد ولم تنثنها حتى أشد الايام سوادا عن المطالبة بحقوقها ، فما خلق الوفد إلا للجهاد والكفاح ، ولن يضيره أن يتجدد هذا العراك لتتطهر البلاد من أسباب الفتنة ، فرحبا بأيام الجهاد والنضال .

خصوم الديموقراطية

من المقرر أن كل فكرة ، سواء كانت دينية أو اجتماعية أو سياسية ، لا تسلم من خصوم ألداء يوجهون جهودهم للقضاء على أغراضها ، والسبب فى هذا يرجع الى تفاوت النفوس فى الميول والاغراض ، فكل نفس خلقت لما يسرت له وجبلت عليه ، وكل انسان يعمل على شاكلته .

ولا يحتدم وطيس العراك والحروب بين أنصار وخصوم الرسالات العمرانية أو الاجتماعية و السياسية فحسب دون نواحى الحياة الاخرى ، وانما تجد الخصومة فى كل ما يتصل بالحياة ، وأكثر من هذا فان رغبة الله — سبحانه وتعالى —

فى خلق البشر ، هذه المشيئة الالهية ، لم تسلم هى الأخرى من معارضين لها ! .

لما قال الله سبحانه وتعالى « للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة » ولما قال جل وعلا « اسجدوا لآدم » ظهر اللعين من بين الملائكة معترضا ، وأخذ يفاضل بين الصلصال والفخار وبين الحمأ المسنون ، مفاضلة انتهت بطرده من السماء ، وخروجه من رحمته ، ولذلك فان كل معارضة ، يراد بها اطفاء نور المبادىء الحقة التى تكتسب الهيئة الاجتماعية من وراء انتشارها خيراً ، تجدها صادرة عن الحسد ، ومكتوبا لها الفشل ، حتى ولو كان مؤيدوها من القوة وعزة الجاه والثراء بدرجة يفوقون فيها ناشرى تلك المبادىء .

وليس أدل على هذا من تاريخ الاديان نفسها ، فانك تجد أن مؤيدى الرسل - صلوات الله عليهم أجمعين - كانوا بادىء ذى بدء ، من قلة العدد والمكانة فى الهيئة الاجتماعية ، مايقل بكثير عما كان عليه خصومهم ، ولكن الله أراد أن ينتشر نوره ، وان يندك عرش فرعون وتدول دولته على يد صغير التقط من البحر طفلا !؟

وأراد الله أيضا أن ينشر تعاليم المسيحية فعمها فى الكون

على يد رضيع قال لخصومه وهو فى المهد « ... إنى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا ، وجعلنى مباركا أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حيا ، وبراً بوالدتى ولم يجعلنى جباراً شقيا والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم ابعث حيا »

ثم اراد ان ينشر الدين الاسلامى الحنيف فاظهره على يد الامين محمد ، ولم يظهره على زعيم من زعماء قريش حتى لا تؤامن العرب وغيرهم بالدين دون جهاد ونضال ومعارضات وما الى هذا من التطاحن الذى له الفضل فى رسوخ العقائد فى الصدور .

أرأيت ، بعد هذا ، ان محاولة اطفاء نور المبادىء الجليلة من النفوس أمر لا يمكن أن يتحقق !

وان المبادىء فكرة ، والفكرة فى الصدور ، وكل ماهو فى الصدور لاينزع منها الا بالموت !

* * *

لن يضير الوطنيات ، التى تعد من اجل الرسالات ، معارضة بعض الناس لها ، خصوصا فى هذا العصر الذى نشطت فيه العقول وعرفت الافراد والجماعات حقوقها فى الحياة .

وكذلك لن يضير الحقوق الوطنية فى مصر ، عمل شرذمة

فاقت فى أساليب خصـومتها ما جعلها تجهـل أبسط دروس الرجولة والكرامة وعزة النفس التى تعطى للاطفال فى روضاتهم فى شكل قصص بسيط!

* * *

لما قامت هذه البلاد قومة رجل واحد ، مأخوذة بصوت سعد الذى كان له من السحر والجلال والرهبـة ما كان لصوت بلال ـ رضى الله عنه ـ من حيث القدرة على تراص الصفوف ، خرج على المجموعة قوم يعملون منذ ذلك اليوم الى الآن على النكاية والتنكيل بوكلاء الامة المطالبين بحقوقها.

فلما كان وكلاء الامة يناضلون المستعمرين ، كان هؤلاء الخوارج يناضلون وكلاء الامة .

أتعرف لماذا ؟

السبب فى هذا لـكى تتوزع جهود الامة الى ناحيتين :

الاولى — مناهضة الغاصبين

الثانية — مناهضة الخوارج

ومتى توزعت جهود الشعب الى ناحيتين كانت أضعف مما لو كانت متجهة اتجاها مباشرا ضد الغاصبين ، وهذا هو السبب الذى جعل مصر تتلـكأ ، بعض التلكؤ على طريق الجهاد رغم

ان الزعامة موفقة فى دوريها !

ولم ينشق هؤلاء القوم عن الامة بسبب المطالبة بحقوق غفل سعد أو خليفته عنها ، وانما كانوا لا يريدون لهذه الامة حرية اطلاقا ، لانها فى نظرهم أمة «لا تصلح لان تحكم نفسها بنفسها» «وأنه من الخطأ ان تمنح دستورا فضفاضا» لانها « فى منتهى الغباوة والجهل » وانها « أمة من الرعاع » وانها «قوم من لا يسمى الجلابيب الزرقاء » وانها وانها ، من النعوت الكاذبة التى لم تختلق نسب صدورها عنهم ، بل هى مما جرى بها لسانهم وخرجت من افواههم فى كل مراحل الجهاد .

وان تنس مصر فلن تنس لهم يوم تسللوا لواذاً الى حظيرة الغاصبين ، وكشفوا له عن جسدها ، وعينوا للخصوم مواطن الضعف فيه ، أو يوم خروجهم على الاجماع بدافع ملء المناصب الحكومية التى كانت شاغرة اذ ذاك ، أو يوم تآمروا على سعد محاولين قتله فى اسيوط

أجل لن تنس لهم مصر موافقهم المخجلة التى تعتبر من اقذر المواقف التى انصبت على أوحالها النفوس البشرية منذ هابيل وقابيل فأمست خصومة ذات أساليب وضيعة

من من الناس بلغ به حب القضاء على خصمه إلى درجة

سولت له نفسه اتهام وطنه الذى منه نشأ بعدم اهليته للدستور والاستقلال ، والدستور هو الضابط للاستبداد ، وبدون الاستقلال لا ترقى امة الى ما تبتغيه من التقدم ؟

لم يتهم أبو جهل العروبة بالغباوة أو العقم ، وانما كان يتغنى بها ، ويمتدح معدنها ويشيد بأصلها وكان مابين رسول الله وبينه هو أن يظهر الامر على يديه ، وتكون الرياسة لشيوخ قريش ، وكذلك كان شأن كل الخصومات . اما خصومة هذه الشرزمة فقد تناولت تلويث اسم الوطن ورميه بنعوت يستحى الانسان من ترديدها ، ورحم الله من قال :

« بلادى وان جارت على عزيزة »

ألم يرسلوا الرسل الى لندن ، قبل وفى اثناء المفاوضات التى جرت فى سنة ١٩٢٤ ، ليعكروا بها جو المحادثات التى دارت رحاها بين سعد وماكدونالد ؟؟

ألم يتهم هؤلاء الرسل مصر بعدم صلاحيتها لان تحكم نفسها بنفسها فرموها بما تورع عنه الخصوم الشرفاء ؟

اجل حصل هذا وهاهو التاريخ ينبئك به ، الامر الذى كان له وقع سيء - وقتذاك - فى نفس الرأى العام المصرى ،

لا نخوفه من فشل المفاوضات وإنما للقذف العلنى الذى طفحت به الجرائد الانجليزية ضد مصر اذ ذاك ، وكانوا هم مصدره باموالهم واقلامهم ؟

ان التاريخ ينطق بإقوم ، فلا لوم علينا ولا تثريب فى نبش سيرة الماضى ، تلك السيرة التى يجب ان تنبش لتقضى على هذه الغيرة الكاذبة والزهد المفضوح والوطنية التى تلبسون الان ثوبها ، حتى لا تنخدع البلاد فتظن الصور من الحقائق والاحلام يقظه والسراب ماء والزبد نافعا .

لابد من نبش قبر الماضى فليس ما ينفع الامم غير الرجوع الى ماضيها لتعرف الغلطات فتتقى فى مستقبلها الوقوع فى امثالها .

فلنسكت ... لنستمع الى مايقوله ماضيكم و ... ليرى الشعب أنكم لجأتم ، قبل الآن كما لجأتم فى هذه الظروف الى بعض مراسلى الجرائد الانجليزية ، للتشنيع على الوفد ومصر وليرى أنكم تستعدون دائما الجرائد الانجليزية وغيرها على مصر ووكلائها كلما احسستم بالحنين الى المناصب .

وقد كان لكاتب هذه الرسالة فى سنة ١٩٢٤ شأن ، فى نقض هذا الموضوع ، مع هؤلاء المعارضين فكتب الى المرحوم الاستاذ

الرافعي بك يعتب عليه انسياقه مع المعارضة في حملاتها ضد سعد ، ويأخذ عليه أن ينساق فيما أباحته لنفسها من الطعن في سمعة مصر بواسطة الصحافة الانجليزية ، وفي الوقت الذي جرت فيه المحادثات بين سعد وما كدونالد ، وسننشر مقتطفات من ذلك المقال وأخرى من ردود الاستاذين المرحوم الرافعي بك والاستاذ المازني على كاتب هذه الرسالة ، ثم تعقيب العقاد افندي على المقال والردود ، ليرى القارىء ان المعارضين للوفد لم يتورعوا حتى عن التجرد من أبسط مبادىء الرجولة بالطعن في أهلية بلادهم للاستقلال.

قالت الاخبار :

حول المعارضة (١)

« أرسل الينا حضرة الاديب الفاضل امام افندي شافعي أبو شقرا خريجي جامعة فينا في العلوم السياسية والاقتصادية مقالا عن المعارضة والمعارضين تناول فيه نقد خطتنا وخطة غيرنا من المعارضين .

ولما كانت خطة غيرنا لا تعنينا فنحن نثبت هنا ما قاله خاصا

---

(١) مقتبس من مقال عنوانه « حول المعارضة » في العدد الصادر في ١٣ اكتوبر سنة ١٩٢٣ بجريدة الاخبار

بخطتنا على ان نجيب على انتقاده فى مكان آخر.

وبدأ حضرته هذا المقال بالتكلم عن المعارضة من حيث هى فقال :

« ان المعارضة كلمة سامية ولفظ مفهومه زنة المسائل والنظريات بميزان العقل والاستقراء ، وبعبارة أخرى بالمنطق الصحيح ، وبدون هذا يكون من المتعذر اصلاح الخطأ ، وتقويم المعوج ، والوصول الى الحقيقة المجردة من كل زخرف أو طلاء يكون من شأنها أن يجعلها أقرب إلى الباطل منها إلى الحق

« ولا أخالك الآن تكون - أيها الكاتب العبقرى - متفقا معى على ان المعارضة الشريفة المفيدة يجب أن تكون منزهة عن الحزازات الشخصية والغايات النفعية وبعيدة عن أن تكون صادرة من قلوب ملأى بالحقد والضغينة حتى تكون طريقا يوصلنا إلى صرح الحقيقة الشامخ ويبدد بشعاعه الوهاج ظلمات الباطل ويظهر مواطن البهتان ومكان الغش والخداع.

ولولا المعارضة ما ظهرت النظريات السياسية التى لا أتيها الباطل من بين يديها ، ولا من خلفها ، ولما كانت الامم المستقلة الآن متمتعة باستقلالها ، ولا كان للدستور معنى يحلو مذاقه للدستوريين »

« ليس من يعيب المعارض معارضته ، لانها واجبة لسعادة الامم ورقيها ، ولكن يجب ان تكون مصدرا للسعادة، وينبوعا للراحة ويجب ان نلبسها ثوبها الشريف لينبعث من احتكاك الاراء ببعضها أثناء المعارضة ، أصوب الافكار وأجداها للمجموعة نفعا .

« و . . . هذه هى المعارضة الشريفة التى تلعب أنجح الادوار فى رخاء الامم المستقلة — ايها الصحفى القديم — وقد حددنا لك معناها لاننا فى مقام تلعب فيه المعارضة فى مصر ادوارا مخجلة ونراك تجاريها فيها أنت الذى نربأ به عن الانزلاق فوق أديمها والانسياق مع تيارها .

« هل من المعارضة الحقة تسوىء سمعة البلاد على صحف لندن كما يفعل الآن رسلها ؟

« منذ ان ظهرت الفكرة المتعلقة بسفر سعد الى لندن لمحادثة المستر ماكدونالد فى القضية المصرية ، والشؤون والمشاكل الراهنتين ، بدأت المعارضة تعكر الجو السياسى ، فى مصر ولندن ، ودأبت على اطلاق مقذوفاتها النارية حتى ملأت هذا الجو بدخان حالك لعرقلة مساعى سعد المفاوض المصرى ، وزفعت عقيرتها هنا محاولة ان تلقى فى روع الجمهور أن كل عمل

« ميامى يقوم به سعد ماهو إلا تمويه وخداع ومواراة !

« غير اننا لم نعبأ بهذه الاقوال لانها صادرة من قلوب يجيش بها الحسد تلقاه سير مصر الحثيث على طريق التقدم، والمكان السامى الذى حل فيه سعد من كل قلب مصرى ، وإنما الذى أردنا ان نلفت أنظاركم اليه هو ما سمحتم به لانفسكم من ايفاد الرسل الى لندن للتشهير بمصر وبقضيتها العادلة .

« تحملون على الرئيس لذهابه للمفاوضة ؟

« فهل ترتب على المفاوضة فقدان حق لمصر حتى تبرر حملاتكم عليه ؟

« وهل قام سعد بالمفاوضة الا بعد موافقة شيوخ ونواب الامة موافقة رسمية وقام بالمهمة متمسكا بحقوقنا دون ان يحيد عنها قيد أنملة ؟

« كفى سعد فخراً أنه رفض بشهامة نادرة اشراك الغاصب فى حكم وادى النيل ؟

« فهل هذا مما أساءكم ؟

« وهل كنتم تريدونه ان يسلم للغاصبين بضرب الذل والاستعباد على مصر

« يجب أن نسلك فى معارضتنا محجة الصواب ، وان نخدم

وطننا خدمة حقة ، وأن يقدر كتاب المعارضة وزعماؤها موقف مصر الحاضر حق التقدير بغير عين الحزبية ، وينظروا الى مكاننا اليوم الذى طوحتنا اليه طوائح الحزبية!

«هذه هى كلمتى لك ، ايها الاستاذ الفاضل فهل تجدنى اخطأت فى تصوير المعارضة »

امام شافعى أبو شقب

* * *

ولم يستطع ، لا المرحوم الرافعى بك ولا الكاتب القدير المازنى افندى ، وهما اللذان تبرأا من خطة الاحرار الدستوريين أن يبررا لى ولرأى العام سبب حملات المعارضة على سعد وايفاد الرسل ، إلا ببراهين دلت السنين اللاحقة لذلك الوقت والتى تعيش فى ظروفها الآن ، على عدم جديتها ، وعلى أنها سفسطة فى سفسطة لانهما نصبا (١) : —

« أن سفر سعد باشا الى لندن لمفاوضة مستر ماكدونالد جعلت روح المقاومة فى البلاد تضعف ، لان فكرة انتظار الخير

---

(١) مقتبس من مقالين نشرا بصحيفة الاخبار الغراء فى ١٢ و١٤ اكتوبر سنة ١٩٢٤ ردا على عتاب كاتب هذه الرسالة.

من الغاصب ، واحسان الظن به إذا تسربت الى النفوس وبقيت فيها فترة طويلة من الزمن أضعفت بلا شك قوة المقاومة لان هذه القوة لا تنمو الا اذا غذيت باستمرار وهذه التغذية لا تأتى إلا من الاعتقاد بأن الغاصب سيء النية مفتئت على حقوق البلاد » .

وفى موطن آخر من مقاليهما قالا :

« وما مثل سعد باشا — فى سفره الى لندن — الا كمثل قائد يذهب بجيشه لمقاتلة عدو له حتى اذا وصل الى مقر هذا الخصم وتبادل معه المخابرة رأى الطرفان أن يعدلا عن القتال وأن يبقيا الحالة على ماهى .

« فاذا تبين أن القائد الاول لم يصل الى مقر خصمه الا بعد أن كبد جيشه بعض الضحايا ، وبعد أن مات بعض جنوده لوعورة الطريق ، أو لغير ذلك من الاسباب ، فهل يقال عن هذا القائد انه لم يخسر شيئا لمجرد انه لم يشتبك فى قتال مع عدوه ، ولم يسلم لهذا العدو فى شيء من الحقوق ؟؟ .

« أجل وما مثل سعد باشا الا كمثل ذلك القائد .

« لم نخسر شيئا . . ! هذا قول يلقى على عواهنه ، والا فليحدثنى الاستاذ أبو شنب عما قوبلت به رسالة المستر

ما كدونالد فى مصر وأين الاصوات التى ارتفعت بالاحتجاج عليها تلك التى قوبلت بجمود محزن من الوفد » الخ المقال الذى دار كله على أن سفر سعد رحمه الله أضعف من روح المقاومة ؟

وياليت المرحوم الرافعى بك كان بيننا فى هذا الوقت حتى كان يرى ، كما رأى الاستاذ المازنى — أمد الله فى عمره — أن التخوف الذى دفعهما الى مقارمة سعد ، والى الانضمام الى زمرة المعارضين الذين سولت لهم أنفسهم تجريح مصر على صحف لندن ، ان ذلك التخوف وهمى لان السنين اللاحقة لمفاوضات ، سعد ما كدونالد ، دلت على أن التعاليم الوطنية فى صدر هذه الامة كالنيران المتأججة فى أتون ، فلم تضعف روح المقاومة فى نفوس المصريين بل بالعكس ، فانها كما رأينا ، قد أضعفت قوى الاستعمار فاعترف لها بحقوقها ، وصعق تيارها الديكتاتوريتين ، الحديدية والفولاذية !

واليك تعقيب العقاد افندى على مقال كاتب هذه الرسالة وردود الاستاذين الرافعى بك والمازنى :—

سياسة المستقبل (١)

وخطة الاحرار الدستوريين (٢)

« وإذا لم يبق احد يخشى على مصر غير الاحرار الدستوريين فقل على مصر السلام ، وإذا صح انهم مشغوفون اليوم عليها ، وجلون مما يصيبها فلقد بلغت الامور الى اشدها ، ورثى لمصر من لا يرثى لها ، فاللهم لطفك واجعلهم كاذبين كما جعلتهم فى كل حين

« كان على هؤلاء الاحرار الدستوريين ، وهم كما يزعمون انهم حزب له مكتب وصحيفه وسكرتير لا يزال يمضى قراراته فى الصحف من حين الى حين ، وسياسة يريدون ان يستبدلوا بها سياسة حكومة الوفد ، ورأى فى المفاوضات غير رأى الاحزاب الاخرى ، كان عليهم ان يجتمعوا بعد انتهاء المحادثات ويقرروا رأيهم فى الخطة التى تجرى عليها البلاد بعد اليوم ، ليتقيدوا بهذه الخطة فى انتقاد الحكومة ويصدروا عنها فى

---

(١) مقتبس من افتتاحية البلاغ الصادر فى ١٧ اكتوبر سنة ١٩٢٤

(٢) الاحرار الدستوريين فى ذلك الوقت هم المعارضون الآن قبل أن ينشقوا الى ثلاثة احزاب

أقوالهم وأعمالهم الرسمية، وكان عليهم ان يشيروا على الامة برأي في المفاوضات » . . . . . .

« يجب ان يعرفوا انهم عصابة لايحتاط لمخالفتها بغير البوليس والخفراء ، ولا يمكن ان تتقى الانتفاء بجانبها بتغيير لخطط ، او تصحيح البرامج ، لانها لاتسير على خطة او تعمل ببرنامج محدود . . . . .

واذا قلنا من اليوم الى أن تعلم رأيهم القاطع الذي لايحيدون عنه كأنما قلنا من اليوم الى الابد ، لانهم لايدينون برأي قاطع ولا يثبتون على وعد ، ولا يبرون بقسم ، وقد يجتمعون اليوم او غد ويقررون الامفاوضة ولامحالفة ويعلنون سياسة ، الاتعاون ، ثم ينقضون ما أبرموه بعد اسبوع واحد أو أقل من ذلك .

« الخطة الثابتة التي يحاسبون عليها هي الخطة التي توصلهم الى ابواب الدواوين ، وكراسي الوظائف ، والرأي الصواب هو ان يستقيل سعد من الوزارة ثم الرأي الصواب بعد استقالتها ان يلغي الدستور ، وتسلم اليهم قيادة الجماهير ، ليقودوها الى حظيرة الانجليز . . والرأي الصواب بعد ذلك ، أن تنسى الامة مطالبها وتلزم الصمت ، وتترك لهم الدنيا الى ان يدركهم الرأي

الصواب ،... بعد عمر طويل او قصير

تلك هى الخطة السديدة وذلك هو الرأى الصواب ، ولاجل تلك الخطة وذلك الرأى ، تسللوا الى لندن من طرق شتى ، واجتمعوا فيها على موعد (ودفعوا اجمعهم) ليعلن فى الدايلى تلغراف عن وزراء تحت الطلب ، يقودون الجماهير ولا ينقادون لها والمخابرة باسم حزب الاحرار الدستوريين بشارع المبتديان والاسعار فى غاية المهاودة »

« وبعد ان نشروا هذا عادوا متسللين كما ذهبوا ، ووصلوا دون ان تذكر صحيفتهم من أين أتوا ، كأنما يشعرون انهم تواعدوا على جريمة مخيفة ثم قعدوا فى دارهم ينتظرون ذلك الطارق الذى « اطلع على الاعلان » واقبل فى طلب الوزراء بعد المعاينة والامتحان ولا يزالون منتظرين حتى اليوم . !

« ياصاحبى القارىء سهونا وجل من لا يسهو ، انهم لا ينتظرون فى الدار ولا يطيقون الانتظار وانما يسألون الوزارة : ماذا تصنعين ؟

« الوزارة قد اجابتهم ، لو أرادوا جوابا ، وقد ثبت للامة خطتها ولم يبق فى القطر من لم يعرف انها تنوى اتباع الطرق السياسية الى حين ، وانها فى أثناء ذلك تعرض الامر على البرلمان

ليرى فيه مايراه ، وانها لاتقبل دون المطالب التى اتفقت عليها الآن بحال من الاحوال ، وفى هذا جواب كاف لمن شاء ولكن ليس الجواب الذى ينتظره الاحرار الدستوريين لانهم يسألون الوزارة : ماذا تصنعين ! وهم يعنون : متى نستقيلين ؟؟

عباس محمود العقاد

* * *

وليست حادثة « ايفاد الرسل للتشهير بمصر فى لندن » هى الاولى من نوعها ، وانما هناك حوادث أخرى أقربها الى الاذهان « كتاب اليد الحديدية » الذى طبعت منه المطبعة الاميرية مئات الآلاف من النسخ التى وزعت فى لندن ؟ مما يريك أن هذه « العصابة » التى لايحتاط لمخالفتها بغير البوليس والخفراء » لاتحس بالوطنية ، وانه حقا « اذا لم يكن لمصر غيرها فقد بلغت الامور الى أشدها » كما قال كل هذا فيها كاتبها الكبير الذى طهرالله منه صفوف الوفديين الآن ، فامسى يحارب مصر فى صفوف « عصابة » حاربها بالامس ولم يترك من عبارات العار والفحش كلمة لم يلصقها فيها بعد .

حقا ان هذه « العصابة » لاتؤمن بالوطنية ولاتحس بابسط

مبادىء الرجولة ، وليس هذا تصويرنا لها ولا قولنا فيها ، وانما هو قول مقتبس مما قالوه فى انفسهم ، وان أردت الدليل فليس اظهر فى الدلالة على هذا من مقال العقاد افندى ثم من طعن اليد الحديدية فى مجلس وزراء اليد الفولاذية ، وهذا الاخير فى الاول .

لم نقل نحن ان مجلس وزراء الديكتاتور الفولاذى عبارة عن «عصابة من . . . .»

وكذلك لم نقل ان الديكتاتور الفولاذى « متدرن من منبت الشعر الى اخمص القدم » وأيضا لم نقل عن انصار وعصابة الديكتاتور الحديدى «انهم فلول . . . .»

واخيرا لم نقل «ان الاحرار الدستوريين لا يدينون برأى قاطع ، ولا يثبتون على وعد ولا يبرون بقسم » كما قال عنهم كاتبهم الكبير تحت عنوان (الاحرار الدستوريين وسياسة المستقبل) ، لم نقل هذا ، وانما الالسنة التى قالتها هى الالسنة التى ولغت فى بعضها .

كالنار تأكل بعضها ان لم تجد ما تأكله

اجل ان ألسنتهم هى التى رددت هذه القاذورات التى تؤلمهم الآن ، رددتها لما اختلفوا على المناصب وخرجوا على بعضهم فاصبحوا ثلاث عصابات بعد ان كانت عصابة واحدة .

فهل تستطيع هذه العصابات ، التى لا تعرف الاخلاص بحق لنفسها ، هل تستطيع ان تهدم أمة صممت على أن تحيا حياة اساسها الشورى ؟

كلا ، ورب المشرقين والمغربين ، لن تستطع هذه العصابات ان تنال من الامة ولو حالفتهم الأيالمة .

العرش

ولما يئسوا من التغلب على الامة بالصراع العلنى أوحى اليهم الشيطان ان يبذروا بذور الدس بين العرش المفدى ، الذى لا يتربع جلالة الجالس عليه على كرسى من الخشب ، وانما يحل فى قلوب الملايين

أجل : بذروا هذه البذور ، التى لن تنتج الا نتيجة وقتية لا تلبث أن تزول بذورها اعتقادا منهم بانها ستكون بمثابة السلم الذى يرتقون من فوقه الى المناصب !

وان دلت ، بذور هذه الدسائس الخبيثة على شىء ، فأكثر دلالتها على ان القوم لم يتخيروا التربة التى بذروها فيها ، لان الشك لا يمكن أن يتطرق الى اخلاص الوفديين للعرش لانهم متفانون فى حب وإجلال الجالس فوقه ، ذلك الملك الشاب الذى له فى القلوب مكانا وحيا

ليس الوفديون هم الذين يتطرق الشك الى اخلاصهم للعرش وانما يتطرق الى الذين قال قائلهم « انا وحدى الذى أقرر متى يعود الدستور » فلهم سوابق فى هذا يدلك عليها « حديث الباخرة . . . والديتكاتور الحديدى » ثم « الرغبة فى ان يكون ذلك الديكتاتور بمثابة قائمقام لجلالة الملك الراحل رحمه الله » و « اسباب سجن الكاتب الكبير » و « الامور التى كانت تقع فى ايام اللورد لويد »

يا قوم « لا تذكروا اشياء ان تبد لكم تسؤكم »

اجل ابتعدوا ولا تضربوا على هذا الوتر لان التاريخ له لسان لا يرحم فلا تحشرون اسم الفاروق الكريم ، فما وجد الى الآن شعب يجل مليكه ويتفانى فى الاخلاص له غير الشعب المصرى الذى يجرى فى دمائه دم الملكية مجرى حار أرغم دسائسكم .

وكر الدسائس

ولم تقتصر المعارضة على مثل هذه الاساليب والدسائس الوضيعة الخفية بين الامة والعرش ، ثم بين طوائف الامة وبعضها وإنما ارادت ان توقد فتيلة فتنة عامة فى البلاد

وتشعل القنبلة التى هيؤها للعبث بالحياة الدستورية

أجل ارادت ان توقد فتيلة الفتنة بالاعتداء المزرى على عربة حضرة صاحب المعالى مكرم عبيد باشا أمام سمع وابصار رجال السراى فاساءوا بهذا لا إلى مكرم ، وإنما الى المليك الفدى اذ وقع الاعتداء أمام السراى التى يجب ان يكون لها الاحترام التام فى كل القلوب فلا يقع فى ساحتها مثل هذه الاشياء المزرية .

ولقد صور زميلنا المحترم رئيس تحرير جريدة المصرى الاغر هذا الاعتداء الدنىء تصويرا صادقا وعلق عليه تعليقاً نشاركه فيما ذهب فيه من القول بان مثل هذا الاعتداء لن يشفى غليلهم من مكرم أو من الوفد المصرى ، فما مس مكرما ولامس الوفد المصرى ، ولا استطاعوا به ان يهينوا الامة ، فكم من مرة ، وفى ساحات الجهاد وميادين النضال اعتدت القوة الغشوم على مكرم وسلطات على الوفد نيران المظالم الصارخة . . وكل ما هنالك انه لم يحدث أن وزيرا من وزراء جلالة الملك يصير الاعتداء عليه فى ساحة القصر الملكى وامام وزيرين مفوضين على هذه الصورة .

قالت جريدة المصرى الأغر :—

اساءة . . .

ان أيدى مجرمين شريرين قليلى الادراك والتبصر بعواقب الامور هى التى دبرت هذه المؤامرة المكشوفة. والا فما معنى ان تجتمع شر اذم المأجورين ضعاف الأحلام من طلبة الازهر وغيرهم في ساعة يذهب فيها وزيران مفوضان جديدان ليقدما أوراق اعتمادهما ؟ وما معنى أن يختار هؤلاء المساكين المأجورون يوم أمس ليهتفوا بسقوط النحاس ومكرم فى ساحة عابدين . فاذا كانوا قد اجتمعوا لتحية صاحب الجلالة عند وصوله الى السراى فليست هذه المرة الاولى التى ينزل اليها جلالته . وليست هى المرة الاولى التى يقدم وزراء مفوضون اوراق اعتمادهم . ومن هنا تنفضح المؤامرة ويتبين أن المساكين استؤجروا لتحية مكرم بالهتاف بسقوط مكرم ، ثم ليعودوا ادراجهم بعد اداء مهمة الهتاف .

نحن أحرص الناس على حقوق العرش لانها جزء من الدستور ، كما أننا أحرص الناس على حقوق الامة ، وسلطة الامة هى كل الدستور

مكرم عبيد

وما أعذبه والله على السمع من أن يسمع من مأجورين مساكين ، فانه يحمل كل معانى التقدير لهذا المجاهد المصرى الكريم . اذ عجز المعارضون عن أن يحملوا الناس على على كرهه بتغيير عقائدهم فارادوهم على كرههبمالهم . وعجز المعارضون عن مصارعة مكرم وجهالوجه فصلطوا عليه نفرا من الصغار ليعتدوا على سيارته وليناولوا من زجاجها ما استطاعوا!!

فاذا كان المعارضون قد شفوا غلهم الذى يأكل صدورهم من مكرم ، فليعلموا ان هذه الهتافات لم تنل من نعله اذ سقطت جميعا عندها . فان مكرما ابن سعد لاتروعه هذه الصغائر ، ولاتنال منه هذه الهتافات الذاهبة ادراج الرياح . لانه رجل جهاد وكفاح ، ولن يستريح حتى يقضى بالحق على مناوئه بالباطل . وكذلك جميع رجال الوفد رجال عمل وجلد وجهاد .

ووالله لولا حكمة رجال الوفد ونصحهم الى انصارهم — وانصارهم هم الامة المتراصة الملتفة حولهم — بأن يلزموا الهدوء ويضبطوا انفسهم المتحمسة ، لكان المذين ديروا مظاهرة أمس فى ساحة عابدين مصير غير مصيرهم اليوم . ولكن الوفد لايلجأ الى الاعمال الصبيانية ، ولايستند الى فئة أقلية ، فهو معتز بتأييد الامة له ، مفاخر بتقديرها الحسن لرجاله ، مياه على الزمان

بذلك الحب المكين الذى يضمره له سكان هذا الوادى الكريم والوفد — أو الامة — يعلم أن ماحدث أمس أمام جلالة الملك وعلى مسمع منه انما هو تمثيل ، وان اولئك المختفين خلف الستار إنما يلعبون بالنار ، وسيكونون أول طعام لها اذا تأججت وحمى التنور .

فهل يعلم أولئك المحرضون ان مادبروه أمس مسىء الى مليكهم اذ صنعوه فى حضرته وفى ساحة صرايه العامرة ؟ وهل يعلم أولئك الجبناء ان هتافهم بسقوط وزير من وزراء جلالته فى ساحة قصره اهانه الى المقام السامى الكريم .

ألا تيا لاولئك الضعفاء قلبى الذوق والادراك ، وسحقا لتلك الشرذمة الضالة المفسدة لاخلاق الشباب ، التى لايهمها من أمر هذا البلد الحليم إلا قضاء المأرب الشخصى : أما الوطن ، أما تدعيم استقلاله ، أما سمعته فى الخارج ، أما العمل لخيره ونفع أهله ، فهى عندهم والعدم سواء .

فليثب هؤلاء المأجورون الى طريق الصواب وليتبينوا الرشد من الغى ، وليعلموا ان أولئك الذين يدفعون بهم الى الهاوية لن ينفعوهم فى يوم قريب .

وغدا لايحيق المكر السيىء إلا بأهله وان غدا لناظره قريب» اه

* * *

والوكر الذى تبيض فيه الدسائس وتفقس ، أو المصنع الذى يصنع هذه الاساليب الوضيعة هو ، وكر واحد . أو . مصنع واحد ، هو : حزب الاحرار الدستوريين ذلك الحزب الذى لما ارتطم بصخرة الوفد تجزأ إلى عدة أجزاء ، وأمسى وله جملة اسماء :

الاحرار الدستوريين

حزب الشعب

حزب الاتحاد

واذا قلنا : حزب الاحرار الدستوريين فانما نعنى رجال هذا الحزب الظاهرين والمختفين

ويرحم الله جلالة الملك الراحل المغفور له احمد فؤاد الاول ، طيب الله ثراه ، فقد كان بعيد النظر واسع الخبرة محقا فى ضم اسم الشيخ المراغى الى اعضاء حزب الاحرار الدستوريين .

اجل لقد كان المغفور له الملك الراحل على حق حينما عارض فى تعيين هذا الشيخ شيخا للجامعة الازهرية اذ قال ، كما جاء

فى احدى مجلاتنا الاسبوعية وكما أشيع وقت ذاك انى أرفض أن يكون الازهر فرعا لحزب الاحرار الدستوريين!:

* * *

ياللاسف !

أيكون الازهر فى هذا الوقت وكراً للدسائس ، ومعملا لانتاج الفوضى والشغب ، وهو المعبد الذى كان بالامس يشارك « بيت الامة » فى الدعوة الى التضامن والاتحاد لتخليص الوطن من شرور الاستعباد والاستبداد ؟

ولكن ليس هذا بمستغرب فالحديث الشريف الصحيح : « : . . . . . طوبى لمن جعل الله الخير على يديه » ! فاذا كان « الازهر » قد أدى فى الاوقات الماضية ، الرسالة الوطنية حق الاداء ، فماذلك إلا لان « المشيخة » كانت فى ذلك الوقت تأنف ان تكون يد القط فى التقاط « الكستناء » ! أواليد التى تشعل فتيلة الفتنة ، . . أما فى هذا الوقت ، وفى عهد شيخه الحالى ، فقد خرجت الفتنة عن طريق الازهر !

ان ألف وزارة لاتساوى مثقال ذرة من واجب الاخلاص للمبدأ الذى عليه قمنا وللهيئة التى فيها ربينا وعلونا .

مكرم عبيد

ان الدين لايخدم بهذا يافضيلة الشيخ ، وان كنتم تغيرون على تنفيذ قواعده فليس بايقاع الفتنة بين طوائف الامة وبعضها كما هو القصد من هذا الاعتداء الشنيع

أمامك البغاء الرسمي فهيا إبطله ، وقم تحت بصرك احتساء الخمور فهيا حض على منعها ، ووجه طلابك للاعتداء على محتسي كؤوسها الداخلين منازل الدعارة العلنية والسرية ، بل أمامك ماهو شر من هذا وذاك ، أمامك الانحلال الاخلاقي المتفشي في الهيئة الاجتماعية من جراء اعطاء حرية مطلقة للمرأة حتى سمح لها بمخاصرة الرجال في ساحات الرقص ؟

أمامك يافضيلة الشيخ أمراض تنخر كالسوس في جسم الامة ولم نرك شمرت ساعد الجد لمحاربتها !

أيها الشيخ : ان الفتنة نائمة ، وان الامة لحريصة على حب زعمائها ، وان الدين يمقت الفتنة فارجع الى الآيات الكريمة الحكيمة لتتذكر كراهية الدين للفتنة ، ارجع الى المرجع الاعلى ، الى القرآن الشريف حتى يمكنك أن تسدي نصيحة حقة الى بعض طلابك المأجورين !!.

واسمع مايقوله لك كتاب الامة متسائلين عن جهودك التي تبذلها لكرامة الدين :

«ماهي الجهود الظاهرة أو الخفية التي يبذلها فضيلته في

سبيل الادب والنظام واحترام القانون وكرامة العلم والدين بين المشاغبين من طلاب المعاهد الازهرية ولا سيما معاهد القاهرة التى تفع تحت بصره وسمعه كل يوم ؟ »

حضرة صاحب المعالى

مكرم عبيد باشا

سكرتير الوفد المصرى

والقوم يتخبطون فى سلك الطرق و رسم الخطط ، لتحقيق غرضهم للوصول الى المناصب التى لايحلمون الا بها ، اذ هى على حد قول كاتبهم الكبير فيهم « انه لاخطة لهم فى الحياة الا الخطة التى توصلهم الى أبواب الدواوين ، وكراسى الوظائف(١) »

أجل يتخبطون كما يتخبط الاعشى اذا جن عليه الليل ، أو الاعمى اذا فقد دليله ، فأحيانا يتهمون الامة بعدم اخلاصها للعرش ويصورون أنفسهم بريشة الحريصين على الحقوق الملكية ، ومرارا يلوكون فى أفواههم القذرة اسم أحد زعماء مصر الافذاذ ، بل اسم رجل يفخر به هذا العصر على كل الامصار.

مكرم ! مكرم !

وليس القصد هو مكرم ، وانما القصد هو الوصول الى الحكم من ناحية شق الامة الى قبطى ومسلم

ألا شق الله بطونكم قبل أن تشق مصر وتعيشون فى جو الفتنة فساداً

---

(١) من مقال « الاحرار الدستوريين وسياسة المستقبل ١٧ اكتوبر سنة ١٩٢٤ مجموعة البلاغ الرابعة »

نحن نعيش فى عصر نشطت فيه العقول وحلت فيه القومية محل الأديان ، لا فى العصور الدابرة حيث كان مسلم وقبطى !

فوفروا على أنفسكم هذا المجهود الضائع ، لان العصر مطبوع بطابع المساواة فى الحقوق فللقبطى نفس الحق الذى للمسلم مادامًا يتساويان فى المؤهلات ، ولا تحاولوا ، بهذه البضاعة البائرة الكاسدة إيغار الصدور فالصدور مطبقة على مبدأ لا يمكن ان ينتزع منها ، وهو مبدأ : « منازل الاديان فى المعابد ومنازل القومية فى كل مرافق الوادى ».

الشعب القبطى شعب نشيط يشترك مع شقيقه المسلم فى تمجيد اسم مصر وفى رفع مستواها ، ونسبة المتعلمين بينه نسبة تدل على طموحه ونبوغه .

فلا فضل لمسلم على قبطى الا بالعمل

وهذا هو المبدأ الذى سيستمر العمل به ، لانه متفق مع الاديان خصوصا الدين الاسلامى الحنيف الذى يحث على السلام ليكون العمران .

قد عاهدت الله منذ نشأت على أن أصرح بما فى ضميرى وهذه هى لذتى فى الحياة

سعد زغلول

ألم تكن مالية مصر فى عهد عمر - رضوان الله عليه - فى يد اخواننا الاقباط !

ألم يذكر عمر عمرو بن العاص - رضوان الله عليهما - بعدل كسرى ، بقوله « نحن احق بالعدل من كسرى » الامر الذى يرجع اليه السبب فى استرداد المرأة اليهودية لقطعة من أرض فضاء مملوكة لها كان عمرو بن العاص قد ضمها لمسجده؟

ياقوم .لموا هذه الدسيسة فما عادت تصلح تجارة فى هذا العصر ، ولو لم يكن التحدث بالاخلاص وصادق الجولات يعتبران منا على الاوطان لفاخر الأقباط كل طوائف الأمة فى العمل على رفع مستوى الحياة فى مصر فى كل النواحى ،ولبذ مكرم جل زعماء هذا البلد بجهوده المضنية الشاقة التى خلعت الثورة عليه من أجلها لقب « المجاهد الكبير » ، والتى جعلت سعد يفخر بها وبه ، ويشيد بالشاب فى مراحل كثيرة من مراحل الثورة ؛ اشادة كانت سببا فى ان يصبح الرأى العام المصرى بحياة مكرم ابن سعد ؟

الوحدة متينة ، والصعود الى المناصب من هذه الناحية أمر عسير ، فاتركوا حديثكم عن مكرم فلن تجدوا له سميعا ، وابحثوا لكم عن طريق آخر يوصلكم الى المناصب .

مكرم ، مكرم ، ماله مكرم؟

مكرم ابن الديموقراطية البار لانه ابن منشىء الديموقراطية.

انه شخصية مشيدة على نشاط نادر وزكاء وافر

إنه ذو عقل يشع نورا وهاجاً ، كان فى عمله الحر ليس خامل الذكر وانما كان نجما وضاجاً.

لم يستفد من المنصب وانما استفاد المنصب منه .

فماذا جناه عليكم مكرم حتى تجعلونه هدفا لهذه الطعون؟

ان كنتم تجهلون فضله فلأن الفضل لا يعرفه إلا ذووه ، الفضل تعرفه الامة !

عرفت الامة فضله من صادق جولاته فى الجهاد ، ومن انكبابه الآن ، ليلا ونهاراً لدراسة الشؤون المعتلة ، ومرافق البلاد اللواتى عبثت بها العهود السود ، عهود الطغيان والديكتاتوريات حتى نحف جسمه الذى كان ممتلئا قوة .

انه كالشمعه يحرق نفسه ليضىء للمجموع ، فاتركوه فى عمله الشاق المضنى الذى ستستفيد منه ذراريكم .

***

وليس المشى بالدسيسة بين العرش المفدى والامة المخلصة ، ثم بين عنصرى الامة ، ليس هذان الامران هما الحيلتان اللتان

تفتق ذهن «العصابة» بهما، تآمرا بهذه البلد وحقوقها وانما هناك ثالثة الاثافى. هذك ادعاء «العصابة» بان الوفد ليس فى حكمه حريصا على الروح الدستورية، متباطئا فى اصلاح الشؤون

ولو أن وزارة الوفد لم تحقق لمصر شيئا فى هذه المدة الوجيزة سوى عقد معاهدة الصداقة والتحالف مع انجلترا، تلك المعاهدة التى ناضلت مصر للظفر بها عصورا، والقضاء على نظام الامتيازات الأجنبية ذلك النظام الذى كان علامة خجل فى جبين مصر، وانتظام مصر عضوا فى جامعة الأمم، نقول لو أن وزارة الوفد لم تكسب لمصر سوى هذه الحقوق الثلاث لكفاها فخرا أنها حققت فى مدة وجيزة حقوقا تعتبر جوهر الحياة وأساس كل وجود سياسى.

فالقول بان وزارة الوفد لم تحقق لمصر شيئا تخرصات وأضاليل القصد منها أن يدخلوا فى روع البسطاء: إن وزارة الوفد عاجزة وأن «العصابة» قادرة على اصلاح الأمور! ليجدون من هؤلاء البسطاء، ممن لم يدرسوا تاريخ معارضى الوفد أنصارا للمشاغبة للوصول الى المناصب من هذه الناحية.

ثم يريدون «فقط» اشعال فتيلة الفتنة، وليحذر الذين يشجعون الفتنة فهى من الكبائر وذكيانارها من السيئات.

وحينما يتحدث المؤرخون عن الجهود التى بذلتها الجماعات فى مصر للحصول على الحياة الدستورية، لكى تتعرف القرون القادمة والاجيال المقبلة على أنصار الديمقراطية وأعدائها ، فان هؤلاء المؤرخين سيذكرون بخير - ولاشك - نسل المصلح الاكبر محمد على باشا رأس أمراء البيت المالك

وأى مصرى صادق الوطنية ينسى ماقام ويقوم به حضرة صاحب السمو الامير الجليل عمر طوسون باشا من جهود صادقة نحو تثبيت قواعد الدستور ، وإظهار أنبل العواطف الوطنية فى كل المراحل التى تنقلت فيها قضية الاستقلال والحرية منذ اليوم الذى قامت البلاد تنشد استقلالها المغتصب وحرياتها المسلوبة ؟

لن ينس المصريون لأمراء البيت المالك ما قاموا به من جهود قيمة جديرة بالتسجيل ، اذ فى كل الازمات التى مرت على هذا البلد ، وفى أيام الشدائد القاسية والاختبارات المريرة كان هؤلاء الأسود يقفون بجانب السواد الاعظم ، ويدفعون البلاء والكروب عن وطنهم مع المجاهدين الصادقين ، بمواعد

حضرة صاحب السمو
الامير الجليل

عمر اطوسون

مفتولة وعزم الجبابرة ، وهى من الامور التى استحقوا لها من الشعب الثناء المعطر ، والمديح الزائد وجعلت لهم هذه المكانة الفذة فى قلوب مواطنيهم .

وهل ينسى المصريون ماطلعت الشمس حملات الرحل الشعبي سمو الامير الجليل عمر طوسون ضد صدقى باشا فى الاوقات التى كان هذا الديكتاتور مشغولا بوضع دستوره المشوه وقانون الانتخاب المبتور ؟

لن ينسى المصريون هذا وسيذكرونه لسموه بالخير أبد الآبدين .

وهل ينسى المصريون لصدقى باشا بيانه الغريب الذى رد به على سمو الامير الجليل فقال فيه مامعناه : « ليس للامراء أن يتداخلوا فى شؤون الانتخابات ، وانهم ممنوعون من التكلم فى هذه المسائل الدستورية طبقا للمادة ٩٢ من الدستور؟ فدل رد صدقى باشا ، الديكتاتور الفظ ، على سمو الامير عمر طوسون على أن هذا الديكتاتور مجرد حتى من مزايا الادب عند مخاطبته لشخص مبجل محترم اذا ذكرت النفة كان سموه عنوانها !

حقا ان للامراء وطنية هى أميرة الوطنيات ، وحقا سيرى المؤرخون أنفسهم إمام شغف بالجهاد يفوق كل شغف ، فلا غرابة اذن ولاعجب ان كانت كلمة المؤرخين ، عند تحدثهم عن الحركة الاستقلالية المصرية ستكون :

وطنية الامراء أميرة الوطنيات.

ولم العجب وعلام الغرابة ؟ أليس الامراء هم أحفاد محمد على الرجل المصلح العصامى الذى جعل لاسمه فى التاريخ مكانة لن تقل عن مكانة بونابرت !

* * *

أفتخر بأن أكون على رأس أمة حية شاعرة مفكرة وهى منزلة لاينبغى لرجل أن يطلب لنفسه أعلى منها

سعد زغلول

وكان للمرأة نصيب وافر بين الذين خاضوا غمار الحركة الاستقلالية المصرية المباركة التى جاءت للعالم المتمدن بأمة مجيدة تراها الآن أكثر الامم تقديرا لما للاستقلال التام من معان ومغاز سياسية واجتماعية وعمرانية ، وكان مجهودها منتجا ، وأخلف آثاراً صالحة وأعمالا إيجابية باهرة ستكون مرجعا ترجع اليه الامم التى لم تزل ترسف فى قيود الاستبداد والاستعباد.

واذا قلنا ان الحركة النسوية فى مصر لعبت دورا رئيسيا فى انجاح القضية المصرية وابلاغ سفينتها الى بر السلامة ، وان هذه الحركة تمتاز عن الحركة النسوية فى فرنسا ، التى كانت قبل وبعد عهد نابليون بونابرت ، فلا نكون مجانبين فى أقوالنا مغرضين فى حكمنا .

أجل ان نهضة جنسنا المصرى اللطيف للدفاع عن حقوق مصر المقدسة ، تلك النهضة التى أثبتت للعالمين شغف المرأة المصرية بالمخاطرة والمجازفة تفوق كل نهضة نسوية أخرى ، ويكفى لاظهار هذا حرص أم المصريين على أن تكون جنبا الى جنب مع بعلها العظيم « سعد » فى معقله على صخرة طارق ابن زياد ؟

حضرة صاحبة العصمة

السيدة الجليلة

صفيه هانم زغلول

شريكة سعد في جهاده

كان لأم المصريين نصيب وافر بين الذين عملوا للنهوض بمصر .

ورحم الله القائل :

الأم مدرسة اذا أعددتها أعددت شعباً طيب الاخلاق

فما هو معلوم لدى علماء الاخلاق والاجتماع أن أساس العمران انما يكتمل حينما يتم النظام العائلى ويتنزه من شوائب الاخلاق والاجتماع ، ولا سبيل لاكتمال هذا النظام وتنزهه من هذه الادران الا إذا أعددت المرأة للاضطلاع بهذا العبء.

فاذا كانت أولى أسس الحياة العامة قائمة على المرأة فأى عجب فى أن تكون جهودها أصدق من جهود الرجال ؟

أليست هى أم الماسة التى أرضعت الابناء الالبان من ثديها ؟ فلماذا لاتكون منتجة فى ميدان الماسة كما هى منتجة بحكم طبيعتها الجسمانية ؟ .

ألم يظهر من أدوار ومراحل الحركة الاستقلالية المصرية ، خصوصا فى هذا الوقت الذى تبيض فيه الدسائس ، ما يؤيد

لسنا محتاجين لكثير من العلم ، وانما لكثير من الاخلاق

سعد زغلول

ان علماء الاخلاق والاجتماع لما قرروا ، النظرية التى نحن بصدد الكلام عنها ، كانوا على حق فيما ذهبوا اليه ؟

انهم كانوا على حق ! . . فها أنت فى الوقت الذى تسمع فيه صراخ وصماخ بعض الازهريين المأجورين المشوبين بالاغراض الرجعية ، تسمع من احدى طالبات الجامعة نداءاً وطنيا حاراً حلواً ، يشبه فى رخامته أصوات مزامير داود !

أليس هذا أبرز دليل على أن تربية المنزل لما أثمرت أتت لنا بآنسة تتحرق وطنية ! ولما أعقمت أتت ببعض أطفال فى الازهر لم يستحوا من أن يكونوا ألسنة الجريمة والشغب !

حقا ان أساس العمران هو اكتمال النظام العائلى ، وان النهضة المصرية لم تبلغ القمة الا بفضل جهود المرأة وصبرها على المكاره والمخاطر ، ومشاركتها الرجل فى الكفاح من أجل الوطن .

وحقا ان « الآنسة » المهذبة الفاضلة التى روت الصحف المصرية خبر ارتقائها مدرجات الجامعة ، وخطابها فى الشبيبة تستحلفهم بالوطنية والمروءة ونخوة الرجولة ألا يستمعوا الى داعى التفرقة ونداء الفتنة ، وأن يشدوا أزر مصر فى هذه الظروف التى تحاك فيها الدسائس للانتقاص من سلطة الامة ،

حقا ان هذه الآنسة ، قد أقامت بعملها البرىء النزيه أسطع برهان على أن الوطنية الصحيحة والعقلية الناضجة والوجدان الشريف وما الى هذه الامور التى كانت تنبعث أضواءها من سماء شيوخ النهضة لمن يتلوهم فى مراتب العمر ، قد أفلحت فى خلق شبيبة مصرية ناهضة ، بصرف النظر عما يظهر الآن من جانب بعض صبية الازهر اؤلئكم الذين دللوا بهذه الحركة الرجعية المفتعلة ، على أن نفوسهم من النفوس التى يجدب فيها الخير الانسانى وينبت فيها زرع الدسائس والفتن .

ونحمد الله على أن هذه الشرذمة قليلة العدد ، وان الاكثرية الساحقة هى من الشبيبة الناهضه التى ارتشفت روح الوطنيه الصادقه مع الالبان التى رضعتها من أثداء الامهات فنشأت مطهرة من شوائب الاغراض ، وأصبحت ذات وطنيه صافيه كماء الغدير وهو يجرى بين الفاف الغاب .

وكما أن لشيوخ النورة ، وكلاء الامة ، الفضل فى ايجاد وخلق مثل هذه الشبيبة الفاخرة فللمرأة أيضا النصيب الاكبر فى هذا ، اذ مما لاشك فيه ، أن المرأة هى أم الشبيبة ، وان

لا أريد أن أكون موضع خوف بل موضع احترام
سعد زغلول

تعاليمها الاولية أكثر الدروس رسوخا فى الاذهان .

وأم المصريين - حفظها الله - قد ضربت دروسا فى البطولة والجرأة تعتبر من الدروس الخالدة والتعاليم التى لاتمحوها يد التحوير ، تلك الدروس التى يدلك قيمتها ، لا على سفرها الى جبل طارق للبقاء فيه بجوار بعلها العظيم فحسب ، وانما فى فتحها « بيت الامة » لخليفة سعد ليرسل منه الصوت داوياً طيلة أيام الجهاد ، فى وفود الشعب التى أتت وستأتى لتستمد من الزعيم الالهام الوطنى الذى يرجع اليه الفضل فى ارتقاء مصر مكانة ممتازة بين الامم المستقلة .

ولا شك ان المرأة تكون منتجة ، وذات أثر فعال فى رقى الامم ، لو وجدت زعيما صادقا يعاونها فى تربيه الابناء وجهة يرضاها الوطن وانها فى كثير من الاحايين تفوق الرجال فى ميادين العراك والنضال ، وتهزأ بأفاعيل الظلم كما حدث فهزأت أم المصريين من صاحب اليد الحديدية الذى سلط جنده عليها فاختطفوها من الاسكندريه وأركبوها القطار من محطة « خورشيد » ؟ وكما هزأت وتهزأ بكل من تحدثه نفسه ، من جنود الوطن ، بالخروج على الاجماع والتشيع للرجعية فى خططها .

الكلمة الختامية

من مجموع ما تقدم لنا من القول ظهر لك بجلاء من هم أنصار وخصوم الديموقراطية فى وادى النيل فى العشرين سنة الماضية التى ابتدأت منذ أن وضعت الحرب العظمى أوزارها الى هذا اليوم الذى أتممت فيه كتابة هذه الرسالة .

فلقد رأيت من تصفح هذه الرسالة وجوها ووجوها ، رأيت وجوه أنصار الديموقراطية يقاتلون لتثبيت قواعدها وتشييد دورها ومعاقلها ، ورأيت أيضا وجوه الاعداء يمسكون أيدى الانصار محاولين إثنائهم عن البناء ، وهدم ماتم تشييده ولكن الله سبحانه وتعالى أفلح مجهود أنصار الشورى ، وأقر أعينهم بوجود دار للنيابة فى مصر ، ورد كيد الخصوم . . .

وما دامت دار النيابة قائمة فى مصر ، تلك الدار التى هى قذى فى عيون الرجعيين ، فان الصراع القائم بين خصوم وأنصار الديموقراطية هو أشبه بالزوابع التى تهب فوق أديم البحار ، فيخال الانسان معها أن الدنيا على كف عفريت وأنها ستفقد التوازن ، وإن النجوم لن تلبث أن تصطدم ببعضها ، والشمس ستقع من عليائها ، وان الكون مضطرب ، يتخبل

الانسان هذا التخيل الذى يفارقه بسرعة حينما تهدأ العاصفة ويسكن البحر من هياجه وتسير السفن سيراً اعتياديا . لان الاصل فى الحياة السكون والهدوء ، أما الازمنة التى تتخلل فترتها اضطرابات وزوابع وعواصف فهى أزمنة غير عادية ، وكل ماهو غير عادى مآله الزوال !

لقد توصلت مصر بجهود أبنائها الصادقين الى الحصول على حكم الشورى ، وأكثر من هذا فانها استطعمت لذة وحلاوة هذا الحكم ، لا لأنه قاعدة دينية أمر الله أولى الأمر الاخذ بها ، وانما لانه يتفق مع الميول الغريزية التى خلقها الله فى الانسان الاول قبل أن تخلق الاديان .

فهل بعد أن حصلت مصر على حياة الشورى واستطعمت لذة هذه الحياة ، واعترف للامة بأنها مصدر السلطات ، هل يعد هذا يستطيع أى جبار كان أن يقول للمصريين : لا ، أنتم غير جديرين بالحياة ، وغير أهل لان تكونوا مصدراً للسلطات ؟ .

اذا قيل هذا فسيكون كلام خرافة ، ولن يعبأ أحد به ؛ لان الحرية يجب أن تكون مطلوقة للجميع فى حدود قوانينها التى يجرى نواب الامة سنها ونشريعها ! والمصريون الاحرار

لن يقبلوا ، بأية حال من الاحوال ، أن يحكموا حكما قائما على الصلف والكبرياء وتضييع الحقوق الدستورية ؟ .

وخصوم الديموقراطية ، التى رأى القارىء وجوههم واستبان من هذه الرسالة نواياهم ، يلبسون فى خصوماتهم للشورى لباسين :

الاول : يكونون فيه سافرين فى خصوماتهم فيعطلون الدستور ويعبثون بالعدالة ، ويحمون الافواه و و . . . من الامور التى يرى القارىء آثامها ظاهرة فى الايام التى يكونون فيها فى الحكم .

والثانى : يكونون فيه على نمط القديسين الاتقياء ، والسادة الفقهاء ، يطلقون اللحى زهدا ، ويطيلون « السدبه » سنة وورعا ، ويقصون الشوارب قصا خفيفا ، ويمسكون « السبح » فى أيديهم ليقول الناس فيهم انهم حنابلة الوطنية ، أو من أنصار المذهب الخامس الاسلامى مذهب الوهابية ، ويتمتمون بشفاههم زيادة فى التقى والورع ؟ والسر فى هذا ليخدعوا الناس ، ويدفعوا المخدوعين فيهم الى احداث حدث يوصلهم الى مقاعد الوزارة ، ويجعلهم يتربعون فى دست الأحكام حيث يعودون الى سيرة الظلم الاولى .

. ياقوم ان هذا اللباس مفضوح ، وهذه «الذقون» الطويلة أشبه « بالذقون» الصناعية التى يستعيرها الممثلون عند حاجتهم الى تمثيل المواقف ! .

والدليل على هذ ، ان فى هذا الوقت الذى ينفخون فيه فى نار الفتنة لكى يسفر الخلاف الدستورى القائم بين وزارة الوفد والسراى عما يشتهون ، ان فى هذا الوقت الذى يقولون فيه ان الوفد مفتئت على سلطة صاحب الجلالة ـ أدام الله عمره ـ وانه يرغب اغتصاب هذه السلطة ، انهم يقولون مالا يبطنون ، فلقد كان لزعمائهم فى موضوع هذا الخلاف رأى يشيه فى أدق نواحيه رأى الوفد ، وهاهو ننقله لهم حتى يروا انهم مكابرون : —

قال معالى عبد العزيز فهمى باشا فى جلسة لجنة الدستور فى ٢٩ اغسطس سنة ١٩٢٢ :

« لقد جعل الدستور الملك مقدسا مع أنه بشر كل البشر ـ الملك يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق ـ وله أذن وله

كل أمر يقف فى طريق حرياتنا لا يصح أن نقبله مطلقا مهما كان مصدره عاليا ومهما كان الآمر به .

سعد زغلول

شهوات ولكنه مقدس بحكم الدستور فاذا تركتم بجانب الملك أناسا لهم سياسة وآراء خاصة تخالف سياسة الوزارة يراهم الملك كل يوم هم كتبته ، هم أعوانه ، هم خدمه الذين يدخلون عليه ليل نهار ، هم أكثر من يسمعهم الملك من الامة ـ وأنا أتكلم عن الملوكية عامة لا على الملك الحالى لان جلالة ملكنا حفظه الله رجل قويم الخلق سمح فى مصلحة البلد ـ ولكن من الجائز أن يأتى ملك سماع للوشاية ويكون بجانبه من رجال بلاطه من يدس الدسائس للوزارة وهو يعلم أن من حق الملك أن يقبل الوزارة وأن يعين من يخلفها فهل من مصلحة البلد أن يسقط الملك كل يوم وزارة ويعين غيرها عملا بنصائح رجال بلاطه »

وقال دولة على ماهر باشا :

« لم أكن لافرض ونحن نضع هذا الدستور أن شخصية الملك مستقلة خصوصاً بعد أن قررنا أن الملك يحكم بواسطة وزرائه وأن كل أمر للملك يوقعه الوزير المختص ويتحمل مسؤوليته

انى رجل قد وطنت نفسى على الدفاع عن الحق وأن أتحمل فيه كل مكروه ولو كان آتيا من الذين أدافع عنهم

سعد زغلول

فاما ان كنتم ترون اليوم غير هذا وصح أن يحكم الملك من غير واسطة وزرائه فهذا يكون رجوعا الى حكم الفرد »

* * *

هذه هى القاعدة الدستورية التى يجب أن تكون محترمة حتى لأعس سلطة الامة ، ويهدم مبدأ المسؤولية الوزارية ، وهى القاعدة التى جرت على ألسنة خصوم الديموقراطيـة فى الوقت الذى لم تكن نوايا مصر الانتخابية نوايا معروفه .

فلو أن اللذان قررا سلطة الامة ، فى مضابط لجنة الدستور على النحو الذى أثبتناه لها فوق هذا الـكلام ، لو أنهما اعتقدا أن نوايا الامة الانتخابيـة ستكون على النحو الذى برزت فيه فى كل الانتخابات الماضية لحبسوا فى أنفسهم هـذا الرأى الحر ! لحقا ان الحرية يخدمها أعداؤها قبل أنصارها ، سواء بفلتات اللسان أو بالمظالم ! .

* * *

ان الروح التى أودعها الله هذه الامة لاتقوى على مغالبتها أحكام عرفيـة ، ولا استبداد مستبد ، ولا قوة قوى ، لان الاستبداد انما يقع على الاجسام أما الروح فهى بعيـدة عن متناول يده

سعد زغلول

فليحذر الشعب ، فالمسألة لها خبىء ، ووراء الاكمة ماوراءها والليالى حبالى بالدسائس ، والفتن مازالت تسير بسرعة .

ليحذر الشعب فليس المقصود هو تقرير مبادىء دستورية ، أو الحرص على حقوق العواد الاعظم ، تلك الحقوق التى يظهرون أنفسهم فى مظهر الغيرة عليها ، والحرص على سلامتها ، والتى هى بريئة منهم !

ليحذر الشعب فالقصد من هذا كله هو خلق متاعب امام وزارة الامة ليخلو الجو للرجعيه ! .

ليحذر الشعب ، وليعلم أنه مقبل على عهد نسأل الله منه اللطف بحياة الشورى وبحقوق البلاد وبمستقبل الذرارى .

لايفوتنكم أن تحتجوا على كل أمر ترون أن فيه مخالفة للقانون مهما كان صغيرا فى نظركم ، فربما كان لهذا الامر الصغير علاقة فى المستقبل بأمر كبير فيتخذ من رضائكم فى هذا حجة عليكم فى ذلك

سعد زغلول

أيها المصريون

ان النحاس لا يتمسك بالحقوق الدستورية لنفسه ، وانما لكم ولاعقابكم وذراريكم طبقة بعد طبقة ، فان نصرتموه نصرتم أنفسكم وبرهنتم على أنكم أهلا للحياة الاستقلالية التامة

« ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم »

أيها المصريون :

ليس لكم بعد الله ـ جلت قدرته ، اذا ارتطمت سفينة الحياة الدستورية ، ليس لكم سوى الالتفاف حول خليفة سعد ، مصطفى النحاس ، الرجل الصادق ، صديق مصر ، بطل المعاهدة وزوال الامتيازات الاجنبية وانضمام مصر الى عصبة الامم .

أجل : ليس ثمت طريق سوى الالتفاف حول زعامة النحاس ، والعمل بمبادىء الوفد ، فان اصطدمت السفينة وارتطمت بالرجعية فاثبتوا ثبات الجبال الرواسى « ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين ».

القاهرة فى ٢٥ — ١٢ — ١٩٣٧

حقوق الطبع محفوظة للكاتب

دار الطباعة الحديثة — بمصر

18 Jan 65

8 - Feb 71

1 - JUN 1971

[redacted]
أبو شنب ،امام شافعى
الديمقراطية فى مصر بين الانصار وال
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01014594